جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

الإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية في سورة يوسف دراسة وصفية تحليلية تداولية

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

إعداد

د/طه عبدالرحمن عمر عبدالرحمن

المدرس في قسم أصول اللغة بكلية اللغة العربية بأسيوط

(العدد السابع والثلاثون)

(الإصدار الثالث .. أغسطس)

(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)

علمية - محكمة - ربع سنوية

الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

الإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية في سورة يوسف دراسة وصفية تحليلية تداولية ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

طه عبدالرحمن عمر عبدالرحمن

المدرس في قسم أصول اللغة بكلية اللغة العربية بأسيوط

البريد الالكتروني: taha-abdelrhman.47@azhar.edu.eg

الملخص:

لا ريب أن اللغة أبرز مظهر من مظاهر بني البشر باعتبارهم أرقى مخلوق، وهى من أهم وسائل التواصل بينهم؛ لكونها وسيلة لتبليغ المقاصد والتأثير في الآخرين، وقد شهدت دراسة اللغة تطورًا كبيرًا؛ حيث انتقلت من حدود الوصف التقعيدي إلى الوصف التواصلي للغة الذي يدرس اللغة في استعمالاتها المجتمعية التي تخضع لظروف إنتاج الخطاب ومقاصد المتكلمين وأغراضهم وحال المخاطبين وطبيعة العلاقة بينهما، والظروف التي تحيط بالعملية التواصلية، وهذا متمثل في مناهج عدة أهمها ما عرف حديثًا بـ(التداولية)، وهذا المنهج وإن لم يكن مقعدًا في الدراسات العربية القديمة إلا أنه جاء مبثوثًا في بعض بطون كتبهم، ثم جاءت الدّراسات العربية الحديثة لتتجه نحو استثمار معطيات الفكر التراثي القديم ومزجه بالنظريات الغربية الحديثة. والمتكلم لكي يحقق القصدية في كلامه وتبليغ أفكاره يحتاج إلى التأثير في الآخرين، وهذا يتطلب منه إستراتيجية محددة في التخاطب؛ ونظرًا لقلة الأبحاث المتعلقة بإستراتيجية الخطاب في ضوء النظرية التداولية وأهميتها آثرت الخوض في غمار هذا الموضوع فجاء البحث بعنوان:(الإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية في سورة يوسف دراسة وصفية تحليلية تداولية). ومن أهم ما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع: أن التداولية أضحت الأكثر رواجًا في الدراسات اللسانية والإنسانية المعاصرة، حيث تعدت الاهتمام بالتراكيب والدلالات الظاهرة إلي الاهتمام بعملية التواصل اللغوي بين المتكلم والسامع داخل الخطاب.

كما أن وظائف اللغة التطبيقية لا يتم تحديدها إلا من خلال دراسة إستراتيجية للخطاب يصوغها المخاطِب في قالب لغوي تسهم في توجيه(المخاطَب) نحو فعل ما. وكان من أهم نتائج الدراسة: معرفة اللغويون العرب قديمًا لفكرة التداولية وإن لم يؤصلوا لمصطلحها. وقد استخدم الآمر في التخاطب هنا إستراتيجية بغرض التأثير في المخاطَب واستدراجه لإقناعه بالدّعوى المعبّر عنها في العملية التواصلية، مع تكاتف كافة الأساليب اللسانية والفكرية.

الكلمات المفتاحية: الإستراتيجية، الأمر، القوة الإنجازية، سورة يوسف، تداولية.

The rhetorical strategy of the imperative verb and its effect on the performative power in Surat Yusuf: A descriptive, analytical, and pragmatic study.

Taha Abdel Rahman Omar Abdel Rahman.
Department of Fundamentals of Language, Faculty of Arabic Language, Assiut, Al-Azhar University, Egypt.
Email: taha-abdelrhman.47@azhar.edu.eg

Abstract:

There is no doubt that language is the most prominent aspect of human beings as they are the most advanced creatures, and it is one of the most important means of communication between them; As a means of communicating intentions and ideas and influencing others, the study of language - in light of the multiplicity of its study methods - has witnessed a great development, as it moved from the limits of the codified description and formal structures that the structuralists were interested in in their study of language - which is represented by the ancient Arab linguists in their codification of the sciences of grammar and morphology, and by the West in the strict linguistic study in its abstract generative meaning that studies the linguistic system in isolation from the context of social communication - to the realistic and communicative description of language that studies the language in its societal uses that are subject to the conditions of producing the discourse and the intentions and purposes of the speakers and the state of the addressees and the nature of the relationship between them, and the circumstances surrounding the communication process. As for the method followed in this research, it was the descriptive and analytical method in applying the criteria of pragmatics to the imperative verb and its role in the process of communication

between the source of the imperative and its recipient, and the effect of that in accomplishing the imperative and the role of the context in achieving that. The nature of the research required that it come in an introduction and a preface, two chapters, a conclusion, and an index of the sources on which the research relied as follows: Introduction: I talked about the importance of the topic, the motives for choosing it, the method I followed, and the research plan. Introduction: Pragmatics and the imperative verb, definition and translation. The first section: The imperative verb and its effect on the performative force in the consequences of Joseph's vision, a pragmatic study. The second section: The imperative verb and its effect on the performative force in the consequences of the vision that Joseph interpreted to the king, a pragmatic study. The conclusion: It included the most important results and recommendations that he reached through the research. Index of sources: It included the most important sources that the research used.

Keywords: Rhetorical strategy, Imperative verb, Performative force, Surah Yusuf, a descriptive analytical pragmatic study

بِسمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على رسوله قرآنًا عربيًا غير ذي عوج بغية تقواه، وقص عليه أحسن القصص ليعتبر أولوا الألباب، والصلاة والسلام علي الرحمة المهداة والهادي إلي طريق النجاة بأمر الله، وعلى آله وأصحابه وأزواجه ومن والاه، وبعد،،،

لا ريب أن اللغة أبرز مظهر من مظاهر بني البشر باعتبارهم أرقى مخلوق، وهى من أهم وسائل التواصل بينهم؛ لكونها وسيلة لتبليغ المقاصد والأفكار والتأثير في الآخرين، وقد شهدت دراسة اللغة– في ظل تعدد مناهج دراستها– تطورًا كبيرًا، حيث انتقلت من حدود الوصف التقعيدي والبنى الشكلية التي اهتم بها البنيويون في دراستهم للغة– وهو متمثل عند قدامى لغوي العرب في تقعيدهم لعلمي النحو والصرف، وعند الغرب في الدراسة اللسانية الصارمة بمعناها التوليدي المجرد الذي يدرس النظام اللغوي معزولًا عن سياق التواصل الاجتماعي– إلى الوصف الواقعي والتواصلي للغة الذي يدرس اللغة في استعمالاتها المجتمعية التي تخضع لظروف إنتاج الخطاب ومقاصد المتكلمين وأغراضهم وحال المخاطبين وطبيعة العلاقة بينهما، والظروف التي تحيط بالعملية التواصلية، لتنتقل من حدود الاهتمام بالجملة لتصل إلى الاهتمام بالخطاب بكافة عناصره(موضوعه، والمقام بأنواعه، والمخاطِب، والمخاطَب، ومكان الخطاب وزمانه)، فاتخذت من السياق بأنواعه مركزًا قويًا للوصول إلى الدلالة التي يقصدها المتكلم ويفهمها السامع، وهذا متمثل في مناهج عدة أهمها ما عرف حديثًا بـ(التداولية) والتي تعتبر الجانب الوظيفي أو الاستعمالي للغة، حيث شكلت التداولية– أو ما عرف عند لغوي الغرب بالبراجماتية– منهجًا لغويًّا متكاملًا في عملية التواصل بين المتكلم والسامع، وهذا المنهج لم يكن مقعدًا في الدراسات اللغوية العربية القديمة إلا ما جاء منها مبثوثًا في بعض بطون كتبهم،

فجاءت الدراسات اللغوية العربية الحديثة لتتجه نحو استثمار معطيات الفكر التراثي القديم ومزجه بالنظريات الغربية الحديثة.

والمتكلم(المخاطِب) لكي يحقق القصدية في كلامه وتبليغ أفكاره يحتاج إلى التأثير في الآخرين، وهذا يتطلب منه إستراتيجية محددة في التخاطب سواء أكانت مباشرة أم غير مباشرة؛ إذ الخطاب يعد إنتاجًا فكريًا تجسده آليات لغوية تعكس كيفية التعامل مع متلقي الخطاب تبعًا لمقتضيات السّياق، وهذا قد يتطلب من المخاطِب مهارة لغوية ومعرفة بأساليب إنتاج الخطاب فيما يعرف بالكفاءة اللغوية التداولية، وما قد تقتضيه من علة تؤكد مقصوده وتأثيره على فكر المخاطَب ونفسيته وقبوله لما يتلقاه من خطاب.

ونظرًا لقلة الأبحاث المتعلقة بإستراتيجية الخطاب في ضوء النظرية التداولية وأهميتها آثرت الخوض في غمار هذا الموضوع من خلال التطبيق على قصة سيدنا يوسف في القرآن الكريم؛ فجاء البحث بعنوان:(الإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية في سورة يوسف دراسة وصفية تحليلية تداولية).

ومن أهم ما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع **أولًا:** أن النظرية التداولية أضحت الأكثر رواجًا في مجال الدراسات اللسانية والإنسانية المعاصرة، فلم تصبح علمًا لغويًا محضًا يدرس اللغة في ذاتها ولأجل ذاتها فقط– كما سبق– بل تعدت حتى مرحلة الاهتمام بالتراكيب والدلالات الظاهرة إلي الاهتمام بعملية التواصل اللغوي بين المتكلم والسامع داخل الخطاب ومعرفة هويتهما وبيان المرحلة المشتركة بينهما بغية الوصول للقصدية المستهدفة من وراء الخطاب والغرض منه إزاء استعماله في مختلف طبقاته المقامية، إضافة إلى معرفة الخلفيات المشتركة من التكوين الاجتماعي والنفسي والثقافي الذي يبرزه السياق. وبذلك تصبح للغة وظيفتان: تعاملية من خلال دورها في نقل المعلومات بين المتكلم والسامع، وأخرى تفاعلية تتحقق من خلالها القصدية وفق الخلفيات

المشتركة السابقة، وبذلك تصبح التداولية منهجًا في علم اللغة الحديث له عظيم الأثر في العلوم اللغوية وغير اللغوية؛ لأنها لا تدرس الظاهرة اللغوية منعزلة عن الظواهر الاجتماعية والثقافية التي تسود المجتمع.

ثانيًا: وظائف اللغة التطبيقية لا يتم تحديدها إلا من خلال دراسة إستراتيجية للخطاب يصوغها المخاطِب في قالب لغوي، وهي لا تتحدد بمعزل عن مقصوده في ضوء السياق بأنواعه، وهذا يتطلب اتباع المنهج التداولي باعتباره أداة إجرائية تعدت الدراسة في المستوى الدلالي إلى دراسة اللغة في الجانب الاستعمالي.

ثالثًا: ومما دفعني إلي اختيار فعل الأمر أن الأمر يعد صنفًا من أصناف إستراتيجية الخطاب تسهم في توجيه(المخاطَب) نحو فعل ما، مما يبرز معه نفوذ المخاطِب وقوته لطلب إنجاز فعلٍ في الخطاب من خلال أدوات لغوية مباشرة أو غير مباشرة لا يجد(المخاطَب) معها بُدًا من التنفيذ والامتثال، وبهذا يكتسب فعل الأمر بقوته الإنجازية تداوليته من خلال التأثير الذي يحدثه في المخاطَب.

رابعًا: اخترت التطبيق على سورة يوسف؛ لأنها سورة تتضمن قصة، وهذه القصة تعتبر حدثًا واحدًا هو رحلة عبر الزمن، وهي تمثل أداء واقعيًا متكاملًا في أحداثه وأشخاصه، فبرزت فيها النظرية التداولية التي حققت معاني واضحة بأساليب لغوية بليغة، وكشف الأمر فيها عن أغراض وإنجازات من خلال المواقف الاجتماعية في القصة، وكان لهذا انعكاس نفسي على الأشخاص كان له عظيم الأثر في مواقفهم ومشاعرهم وسلوكهم.

أما عن المنهج المتبع في هذا البحث فكان المنهج الوصفي التحليلي في تطبيق معايير التداولية على فعل الأمر ودوره في عملية التواصل بين مُصدِر الأمر ومُستقبِلِه، وأثر ذلك في إنجاز الأمر ودور السياق في تحقيق ذلك.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس بالمصادر التي اعتمد عليها البحث على النحو التالي-

المقدمة: تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، ودوافع اختياري له، والمنهج الذي سرت عليه، وخطة البحث.

التمهيد: التعريف بأبرز مصطلحات عنوان البحث، وقد جاء في:

أولًا: مفهوم التداولية ونشأتها.

ثانيًا: التعريف بالإستراتيجية الخطابية وفعل الأمر.

المبحث الأول: الإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية في عواقب رؤيا يوسف دراسة تداولية.

المبحث الثاني: الإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية في عواقب تأويل يوسف لرؤيا الملك دراسة تداولية.

الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها من خلال البحث.

فهرس المصادر: وتضمن أهم المصادر التي استعان بها البحث.

وبعد، فهذا بحث متواضع أردت به المساهمة في ميدان الدراسات القرآنية واللغوية.

وهذا مبلغ علمي، وحسبي أني اجتهدت، أسأل الله تعالى أن يعلمني من لدنه علمًا، وأن ينفع بهذا البحث طلاب العربية:﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾.(هود).

تمهيد

التعريف بأبرز مصطلحات عنوان البحث

أولًا: مفهوم التداولية ونشأتها

التداوليـــة لغـــة: مصـطلح عربـي وُضـع مقـابلا للمصـطلح لأجنبـي (Pragmatique) ويعود أصله إلى الجذر اللاتيني(Pragma) الذي يعني الفعل أو الحدث، أما معناه في اللغة الفرنسية فمرتبط بما هو محسوس وملائم للحقيقة، ويدل في اللغة الإنجليزية(Pragmatic) على ما له علاقة بالأفعال والوقائع الحقيقية(١).

أما في العربية فيرجع مصطلح التداولية في أصل اشتقاقه إلى مادة(د و ل) التي تدل على تحول الشيء وانتقاله من حال إلى حال، يقول ابن فارس:" الدَّالُ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى تَحَوُّلِ شَيْءٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَالْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى ضَعْفٍ وَاسْتِرْخَاءٍ. أَمَّا الْأَوَّلُ فَقَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: انْدَالَ الْقَوْمُ: إِذَا تَحَوَّلُوا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ. وَمِنْ هَذَا الْبَابِ: تَدَاوَلَ الْقَوْمُ الشَّيْءَ بَيْنَهُمْ: إِذَا صَارَ مِنْ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ... لِأَنَّهُ أَمْرٌ يَتَدَاوَلُونَهُ، فَيَتَحَوَّلُ مِنْ هَذَا إِلَى ذَاكَ، وَمِنْ ذَاكَ إِلَى هَذَا "(٢). وفي اللسان:" والدَّوْلةُ: الْفِعْلُ وَالِانْتِقَالُ مِنْ حَالٍ إِلى حَالٍ... وتَداوَلْنا الأَمرَ: أَخذناه بالدُّوَل... وتَداوَلَتْهُ الأَيدي: أَخذته هَذِهِ مرَّة وَهَذِهِ مرَّة... ودَوَالَيْك مِنْ تَداوَلوا الأَمر بَيْنَهُمْ يأْخذ هَذَا دَولة وَهَذَا دَولة... وَيُقَالُ: تَداوَلْنا العملَ والأَمر بَيْنَنَا بِمَعْنَى تعاوَرْناه فعَمِل هَذَا مَرَّة وَهَذَا مَرَّةً"(٣). وفي القرآن:﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[آل عمران:١٤٠] أي "مرة لهم ومرة عليهم"(٤).

---

(١) ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه صـ١٧.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ٣١٤/٢ (د و ل).

(٣) لسان العرب لابن منظور ٢٥٢/١١ وما بعدها (د و ل).

(٤) أساس البلاغة للزمخشري ٣٠٣/١ (د و ل).

وعلى هذا فالتداول يدل على التحول والانتقال من حال إلى أخرى ومن مكان إلى آخر، وكذلك اللغة في تحولها وتنقلها بين مستعمليها، وهذا هو السبب في اختيار مصطلح التداوليه ترجمة لمصطلح(Pragmatique)[١] الذي أطلقه– أول ما أطلقه– الفيلسوف المغربي طه عبدالرحمن حيث قال:" وقد وقع اختيارنا منذ ١٩٧٠م على مصطلح(التداوليات) مقابلًا للمصطلح الغربي(براغماتيقا)؛ لأنه يوفّي المطلوب حقّه باعتبار دلالته على معنيي الاستعمال والتفاعل معًا"[٢].

التداولية اصطلاحًا: نجد اختلافًا بين العلماء في تحديد مفهوم التداولية؛ نظرًا لتعدد حقولها المعرفية، فهي محط اهتمام الفلاسفة والمناطقة واللسانيين وأهل البلاغة، فلا يمكن أن نصنفها في مستوى التحليل ضمن مستوى محدد؛ لأنها لا تدرس جانبًا محددًا في اللغة بل تستوعبها جميعًا؛ إذ يغطيها العديد من التيارات من علوم مختلفة كعلم الاجتماع والمنطق، وتتجاوز اهتماماتها بمجموع الأبحاث المتعلقة بالمعنى والتواصل، وتغطي على موضوع الخطاب لتصبح نظرية عامة للنشاط الإنساني[٣].

---

(١) اختلفت الترجمات حول مصطلح Pragmatics اختلافًا بينًا بين اللغويين، فمنهم من يترجم المصطلح بالنفعية، ومنهم بالذرائعية، ومنهم بالمقاصدية، ومنهم بالتبادلية، ومنهم بالاتصالية، ومنهم من ترجمه بظواهر الاستعمال أو التخاطب، وهذه الترجمات لم تلق رواجًا كبيرًا، والذي شاع ترجمة الفيلسوف المغربي طه عبدالرحمن بالتداولية. ولو علم التداوليون الغربيون بوجود هذه اللفظة في العربية لفضلوها على لفظة(Pragmatique)؛ لوفاءها بالمقصود؛ فالتداولية تفيد في العلم الحديث الممارسة، وتفيد أيضًا التفاعل في الخطاب، كما أنها من مادة واحدة ولفظة الدلالة، يعني أن التداول سوف يرتبط بالدلالة. ينظر: إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، لعبدالهادي بن ظافر الشهري صـ٥٧٤، والأبعاد التداولية عند ابن حزم الأندلسي ماجد بن حمد العلوي صـ٩٠.

(٢) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبدالرحمن صـ٢٧.

(٣) ينظر: في اللسانيات التداولية، د: خليفة بوجادي صـ ٦٣، ٦٤.

ولعل أقرب تعريف للتداولية إلى معناها اللغوي وأوجزه، ويكاد يتفق عليه هو ما ذكره أحد الباحثين من أنها" دراسة اللغة في الاستعمال، أو في التواصل؛ لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئًا متأصلًا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا بالسامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد(مادي، واجتماعي، ولغوي) وصولًا إلى المعنى الكامن الكامل في كلام ما"[١]. ويعرفها بعضهم بأنها" دراسة الفعل الإنساني القصدي، فهي تنطوي على تفسير أفعال يفترض القيام بها لإنجاز غرض معيّن، وبناء على هذا ينبغي على المفاهيم المركزية في التداولية أن تتضمّن اعتقادًا وقصدًا وخطة وفعلًا "[٢]. وعلى هذا فمستعمل اللغة له معانٍ وأفكار محددة مقصودة يسعى لتوصيلها، ويبني لذلك إستراتيجية معينة للوصول لهدفه حتى يظهر مقصده الذي ينجزه في الواقع. كما عرفها أحد الباحثين تعريفًا أقرب لطبيعة البحث الذي نحن بصدده وهي أنها:" مذهب من مذاهب الفلسفة اللسانية شكَّل تقاطعًا لعلوم مختلفة: لسانية وفلسفية ونفسية واجتماعية وتواصلية؛ يهدف إلى تحليل الكلمات والجمل الملفوظة؛ لرصد مقاصدها، ومعرفة الأفعال المتوخاة منها، كما يبحث عن المسكوت عنه، والنيات والمقاصد الخفية في الجمل الملفوظة غير المباشرة، ويأخذ في الاعتبار السياق العام للملفوظات، وعلاقة المرسل بالمرسل إليه والزمان والمكان اللذين يشكلان الإطار العام للخطاب"[٣].

وعلى كلٍ فتعريفات التداولية تتفق في أنها تركز على الجانب الاستعمالي للغة، وقدرات الإنسان التواصلية من جهة اللغة.

نشأة التداولية: بالرغم من أن التداولية كمصطلح ظهر أولاً عن علماء

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د: محمود أحمد نحلة صـ١٤.

(٢) التداولية لجورج بول صـ١٣٧.

(٣) البراغماتية (القولفعلية) في تحليل أفعال الخطاب السياسي، د: سامي كليب صـ١٦٢.

الغرب إلا أن علماءنا العرب القدامى عرفوا التداولية وطبقوها على كثير من نصوصهم، وإن لم يقعدوها كمصطلح، ولذا سأبدأ بنشأة التداولية في العربية:

جذور الفكر التداولي عند العرب: على الرغم من حداثة النظرية التداولية– التي تدرس اللغة داخل سياقاتها– من حيث المفهوم والطريقة والتقعيد من لسانيين وفلاسفة غربيين إلا أننا نجد أن العلماء العرب– من النحاة واللغويين والبلاغيين والأصوليين– في العصور القديمة عرفوا فكرة التداولية بمفهومها العلمي وناقشوها في كثير مما وصلنا من تراث غني، وهم وإن لم يؤصلوا لمصطلح التداولية بلفظه فقد توافروا على كل ما تهتم به من مظاهر لغوية تنبثق من سياقات الاستعمال اللغوي الدائرة في مستوى التخاطب الفعلي، والمتتبع لمؤلفات كثير من العلماء الذين أسسوا لها وتعمقوا في البحث فيها، يدرك ذلك من أمثال سيبويه والفارابي والقاضي عبدالجبار وابن سينا وعبدالقاهر الجرجاني والقزويني والسكاكي والآمدي وغيرهم كثير ممن يضيق المقام عن حصرهم(١). وفي ذلك يقول أحد الباحثين: " إن النحاة، والفلاسفة المسلمين، والبلاغيين، والمفكرين، مارسوا المنهج التداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة وعلمًا ورؤية واتجاهًا أمريكيًّا وأوربيًّا، فقد وُظِّف المنهج التداولي بوعي في تحليل الظواهر والعلاقات المتنوعة"(٢).

وسأكتفي بالإشارة إلي عالمين من علماء اللغة هم من أوائل من أدرج بعض مفاهيم التداولية في اللغة العربية، أولهما سيبويه في مؤلفه الموسوم بـ(الكتاب) حيث أشار إلي عدة ملاحظات تتعلق بصميم البحث التداولي كالسياق والمقام ومراعاة مقتضى الحال وغيرها، فكان في معظم المباحث التي تناولها في

(١) ينظر: آفاق جديدة فى البحث اللغوى المعاصر، د: محمود أحمد نحلة صـ٩.

(٢) اللغة ودلالاتها تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، د: محمد سويرتي صـ٣٠ وما بعدها.

كتابه يولي المخاطَب جلَّ عنايته، من ذلك باب التعريف والتنكير، وباب الذكر والزيادة، وباب التحذير والإغراء، وباب الابتداء(١).

فلا يجوز عند سيبويه أن يبدأ المخاطِب حديثه بمنكور لدى مخاطبه؛ لأن ذلك سيؤدي إلى اللبس وعدم الإفهام، يظهر هذا في قوله:"ولا يستقيم أن تُخبِرَ المخاطَبَ عن المنكور، وليس هذا بالذي يَنْزِلُ به المخاطَبُ منزلتَك في المعرفة، فكرهوا أن يَقْرَبوا بابَ لبْس، وقد تقول: كان زيدٌ الطويل منطلقًا، إذا خفت التباسَ الزيدَيْنِ"(٢).

وإذا كان النحويون قد ذكروا أن الإعراب يحمل معاني وظيفية دلالية فسيبويه أضاف أسبابًا تداولية للإعراب ففي باب(ما ينتصب على التعظيم والمدح) عند قوله تعالى:﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء:١٦٢] قال" فلو كان كله رفعًا كان جيدًا، فأما المؤتون فمحمول على الابتداء"(٣). وسيبويه يُعرب(المقيمين) بالنصب على التعظيم والمدح، والملحوظ أنه لا يُعربها بالنصب على الاختصاص، لكنه يذهب مذهبًا تداوليًّا، فيختار الإعراب على التعظيم والمدح؛ لأن المقام مقام ثناء على المؤمنين(٤).

وثانيهما ابن جني الذي ظهرت- في كتابه الخصائص- أهم القيم التداولية حينما عرف اللغة بأنها" أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"(٥)، وبذلك تصبح اللغة ذات قيمة اتصالية ونفعية من خلال التعبير عن الأغراض.

(١) ينظر: المخاطب والمعطيات السياقية في كتاب سيبويه، خالد عبد الكريم بسندي صـ١٨.
(٢) الكتاب لسيبويه ٤٨/١.
(٣) الكتاب لسيبويه ٢/ ٦٢.
(٤) ينظر: البُعد التداولي عند سيبويه لمقبول إدريس صـ٢٥١.
(٥) الخصائص لابن جني ٣٣/١.

كما برزت عنده– أهم مبادئ تداولية الاستعمال، وذكر أن اللغة تؤخذ استعمالًا لا قاعدة فقال:" إذا أداك القياس إلى شيء ما، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره فدع ما كنت عليه إلى ما هم عليه"(١).

وصنف ابن جني كثيرًا من أبواب كتابه الخصائص علي أساس قضية الاستعمال اللغوي، وتكرر هذا المصطلح(الاستعمال) بمفهومه التداولي عنده كثيرًا، متخذًا عدة اتجاهات منها: المطّرد في الاستعمال، والشاذّ في الاستعمال، والمطّرد في القياس والاستعمال جميعًا، والمطّرد في القياس شاذّ في الاستعمال، والمطّـرد فـي الاسـتعمال الشـاذّ فـي القيـاس، والشـاذّ فـي القيـاس والاسـتعمال جميعًا(٢). بل إن كثيرًا من أبوابه كباب:(في شجاعة العربية)(٣) الذي أدرج فيه عدة مباحث كالحمل على المعنى، والحذف، والزيادة، والتقديم والتأخير، وغيرها، عالج فيها طبيعة الاستعمال، وهل المقصود منه ظاهره، أم البنية العميقة خلفه، والتي تدرك من خلال السياق اللغوي أو الاجتماعي، أو من خلال كفاءة المتلقي التي تمكنه من المقصود(٤). فالكلام عنده" كلّ لفظ استقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه"(٥).

ونجده يشترط فهم المخاطَب لمقصود المخاطِب ليصير التركيب صحيحًا، وبذلك يصبح المخاطَب أداة مشاركة وفعالة في عملية التخاطب لابد من إدراكه لمدلول الكلام وإلا وجب علي المخاطِب التغيير في نسق الكلام لوصول مراده،

(١) الخصائص لابن جني ١/١٢٥.

(٢) ينظر: الخصائص لابن جني ١/ ٩٧: ١٠٠.

(٣) ينظر: الخصائص لابن جني ٢/٣٦٠ وما بعدها.

(٤) ينظر: التداولية عند ابن جني دراسة تطبيقية في كتابه الخصائص، صبحي الفقي صـ٢٢٨.

(٥) الخصائص لابن جني ١/ ١٧.

فيقول:" هذا باب إنما يصلحه ويفسده المعرفة به، فإن فُهم عنك في قولك: ضربت زيدًا أنك إنما أردت بذلك: ضربت غلامه أو أخاه أو نحو ذلك جاز، وإن لم يفهم عنك لم يجز، كما أنك إن فهم عنك بقولك: أكلت الطعام، أنك أكلت بعضه لم تحتج إلى البدل وإن لم يفهم عنك وأردت إفهام المخاطب إياه لم تجد بدًا من البيان، وأن تقول: بعضه أو نصفه أو نحو ذلك"[(١)].

أما الثقافة العربية الحديثة فنجد الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن من أوائل الباحثين العرب الذين حاولوا التعريف بالفكر التداولي وتطبيقه في بعض مناحي الثقافة العربية الإسلامية، وهو الذي استخدم مصطلح التداولية مقابلًا لـ(Pragmatique) ولقي من الدارسين منذ ذلك الحين قَبولًا وأخذوا يدرجونه في أبحاثهم، وتبعه أساتذة وباحثين معاصرين أمثال محمود أحمد نحلة، وعبدالهادي بن ظافر الشهري، ومحمود صحراوي، وخليفة بوجادي، وغيرهم من الذين أثروا مجال الدراسات التداولية[(٢)].

جذور الفكر التداولي عند الغرب: التداولية عند الغرب جاءت ردًا علي ما كان من قصور في النظريات اللغوية السابقة كالسلوكية- ومن أهم زعمائها بلومفيلد- والبنيوية- ومن أهم زعمائها دي سوسير- والتوليدية التحويلية- ومن أهم زعمائها تشومسكي- وقد تمثل ذلك القصور في تجاوزها للظروف النفسية والاجتماعية للمتكلم والمخاطَب، وفي تجاوزها لما يمكن أن يسمى بالدلالة غير الطبيعية الذي تقوم حوله نظرية الاتصال، فلما كانت النظريات اللسانيات تتجه إلي داخل اللغة، أي العناصر اللغوية فحسب، ظهرت الحاجة إلي المنهج الوظيفي- الذي يقوم علي تحليل اللغة في ضوء الموقف الكلامي من حيث

(١) الخصائص لابن جني ٤٥٢/٢.

(٢) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن صـ٢٧، وتداولية الخطاب الشعري ديوان الإمام الشافعي أنموذجا، ريمة لعبادلية صـ(ب).

علاقته بالمتغيرات في العالم الخارجي– ممهدًا للتداولية[١]. يقول أحد الباحثين:" إن الأساس الأول في نشوء المنهج التداولي كان بمثابة ردة فعل على معالجة تشومسكي للغة بوصفها شيئًا تجريديًا، أو قصرها على كونها قدرة ذهنية بحتة، غافلاً استعمالها ومستعمليها"[٢].

وإذا حاولنا البحث عن الجذور الأولى للتداولية فيمكن نلمسها في الاتجاه التحليلي في الفلسفة(الفلسفة التحليلية) وهو الاتجاه الرئيس أو التيار الغالب في الفلسفة المعاصرة الذي ركز على موضوع اللغة، حيث رأت أن أولى مهام الفلسفة هي البحث في اللغة وتوضيحها، وأنكرت على الفكر الفلسفي القديم أنه لم يلتفت إلى اللغات الطبيعية ولم يولها ما تستحق من الدراسة والبحث، فسعت إلى ردم هذه الهوة[٣].

ويعد الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجه(١٨٤٨: ١٩٢٥م) زعيمًا لهذه المدرسة الفلسفية التي تطورت على يديه النظرية الفلسفية التي تدعى(منطوقية)، ومن أهم نتاج المنطوقية أنها فصلت الفلسفة التحليلية عن النظريات التي يمكن تسميتها بـ (التأليفية) فقد وضع فريجه الحجر الأساس لعلم الدلالة، ومن ورائه التداولية، وذلك بوضع مفاهيم الروابط الدلالية الموضعية والتواصلية[٤].

والتجديد الفلسفي الذي جاء به فريجه كان له أثره في تكوين التداولية وتطوير منظورها؛ إذ أثّر في كثير من الفلاسفة التداوليين ومنهم هوسرل وكارناب وأوستن وسيرل، وتجمع بين هؤلاء الفلاسفة مسلّمة عامة مشتركة، مفادها أن فهم الإنسان لذاته ولعالمه يتركز في المقام الأول على اللغة، وأهم

(١) ينظر: البعد التداولي عند الأصوليين، يوسف سليمان عليان صـ٤٧٩.
(٢) محاضرات في اللسانيات التطبيقية، لطفي بوقربة صـ٣٣.
(٣) ينظر: الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، د: مؤيد آل صوينت صـ٢٣.
(٤) ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه صـ٢٩ وما بعدها.

هؤلاء الذين تأثروا بالفلسفة التحليلية الفيلسوف الإنجليزي– مؤسس تيار فلسفة اللغة العادية– لودفينغ فتغنشتاين(١٨٨٩: ١٩٥١م) حيث دعا إلى تفادي البحث في المعنى ومراعاة الجانب الاستعمالي في اللغة(١). فكان يرى أن جميع مشكلات الفلسفة تُحلّ باللغة، وأنها المفتاح السحري لمغاليق الفلسفة، وكان يعتقد أن الخلافات والتناقضات المنتشرة بين الفلاسفة سببها الأساس سوء فهمهم للغة، أو إهمالهم لها، وأخذ يطور فلسفته الجديدة التي توصي بمراعاة الجانب الاستعمالي في اللغة(٢).

والدراسات الغربية تشير إلى أن أول من استعمل مصطلح التداولية (Pragmatics) الفيلسوف والسيميائي الأمريكي تشارل موريس Charles Morris عام(١٩٣٨م)، دالًا به على فرع من ثلاثة من علم العلامات(السيمياء)، وهذه الفروع هي علم التراكيب وهو يعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض، وعلم الدلالة وهو يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها أو إليها، والتداولية وهي تهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسريها(٣).

أما عن ظهور التداولية وانتشارها في الفكر اللساني الغربي الحديث بحيث أصبحت تيارًا موازيًا للبنيوية والتوليدية التحولية فقد اتفق الدارسون على أنها لم تصبح مجالًا يعتد به في الدرس اللغوي المعاصر إلا في العقد السابع من القرن العشرين، بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد، وهم: أوستين، وسيرل، وجرايس، وكانوا جميعًا مهتمين بطريقة توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال إبلاغ متكلم رسالة إلى

(١) ينظر: التداولية عند العلماء العرب ، د: مسعود صحراوي صـ٢١ وما بعدها.

(٢) ينظر: السابق صـ٢٣ وما بعدها.

(٣) ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه صـ٤٤ وما بعدها.

مخاطَب يفسرها، وكان هذا من صميم عملهم، وهو من صميم التداولية[١].

درجات التداولية وأنواعها: صنف العالم الهولندي هانسون التداولية إلى ثلاث درجات، وكل منها يعتمد علي مظهر من مظاهر السياق، ويختلف توظيفه ويزداد تعقده من درجة إلي أخرى، وهذه الدرجات هي:

١- **تداولية الدرجة الأولى**: وهي دراسة الرموز الإشارية، أي التعبيرات المبهمة ضمن ظروف استعمالها وسياق تلفظها؛ لأن لها سياقًا خاصًّا هو السياق الوجودي، أو الإحالي، ويتمثل هذا السياق في المخاطبين ومحددات المكان والزمان.

٢- **تداولية الدرجة الثانية:** وهي دراسة طريقة تعبير القضايا، أي دراسة مدى ارتباط الموضوع المُعَبّر عنه بالجملة المُتَلَفَّظ بها في الحالات المهمة، وعلي المتكلِّم تبليغ الدلالة في القضية المُعَبّر عنها بتميز عن الدلالة الحرفية للجملة، وهنا يكون السياق بالمعنى المُوَسّع؛ لأنه لا يهتم بمظاهر المكان والزمان فقط بل إنه سياق يمتد إلى ما يَحْدِس به المُتَخَاطِبون والأخبار والاعتقادات المتقاسمة بينهم.

٣- **تداولية الدرجة الثالثة**: وهي نظرية أفعال الكلام، ويتعلق الأمر بمعرفة ما تم من خلال استعمال الأفعال اللغوية والإشارة إلي ما أنجز فعلًا عبر الموقف التواصلي، والسياق هو الذي يحدد فيها استعمال الأشكال اللسانية فيما إذا تم التلفظ الجاد أو الدعابة، أو إعطاء أمر أو نهي أو استفهام أو مجرد تنبيه[٢].

---

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة صـ٩، والتداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي صـ١٤.

(٢) ينظر: المقاربة التداولية لفرانسواز أرمينكو صـ٥٢ ومابعدها.

وقسم أحد الباحثين المحدثين التدّاولية إلى:

أ) التدّاولية الاجتماعية: التي تهتم بدراسة شرائط الاستعمال اللغوي المستنبطة من السياق الاجتماعي.

ب) التداولية اللغوية: وهي التي تدرس الاستعمال اللغوي من وجهة نظر تركيبية.

ج) التداولية التطبيقية: وتُعنَى بمشكلات التواصل في المواقف المختلفة، وبخاصة حين يكون للاتصال في موقف بعينه نتائج خطيرة كجلسات المحاكمة.

د) التداولية العامة: وتُعنَى بدراسة الأسس التي يقوم عليها استعمال اللغة استعمالاً تواصليًا(١).

ثانيًا: التعريف بالإستراتيجية الخطابية وفعل الأمر:

أ) **الإستراتيجية الخطابية**: تعد من أهم الموضوعات اللغوية، وتكمن أهميتها في شتى مجالات الحياة كالمجال الاجتماعي والتعليمي والسياسي والاقتصادي؛ إذ للمجتمع العديد من السياقات التي تتطلب خطابات متنوعة لترضي أهداف الناس المختلفة، والإستراتيجية الخطابية عملية يقوم بها المرسل– قبل التلفظ بخطابه– باختيار الكلمات والعبارات المناسبة، وكذا السياق المناسب، بغية تحقيق أهدافه، فهو يخطط لكيفية إنتاجه، وكذا لكيفية إيصال معناه إلى المرسل إليه، وحتى يتمكن من القيام بهذه العملية لابد وأن تكون لديه كفاءة لغوية بالإضافة إلى الكفاءة التداولية؛ ولذا كانت الحاجة ماسة لاكتشاف هذه الإستراتيجيات، ومعرفة كيفية تطويعها واستعمالها، وتطوير ذوات الناس التخاطبية بما يواكب متطلبات السياق؛ لما لها من أهمية في توضيح الحقائق وتقريب وجهات النظر وتوجيه المخاطَب صوب الوجهة التي يرتضيها المخاطِب، فهي ضرورة لتبادل الأفكار بين طرفي الخطاب حيثما وجد

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغّوي المعاصر، محمود أحمد نحلة صـ١٥.

الخطاب، في البيت أو السوق أو الطريق وفي كل مرافق الحياة، فالمعلم– مثلًا– يحتاج إلي استعمال أكثر من استراتيجية في خطابه مع طلابه؛ لاختلافهم في التكوين؛ ولتعدد ميولهم، ودرجة استيعاب كل منهم في الفهم، ولا شك أن الاقتصار علي استعمال استراتيجية واحدة– في أي مجال– يعد مؤشرًا على الجمود في التفكير، إضافة إلي أن الإستراتيجيات تتفاضل فيما بينها، وذلك عائد الي الآليات اللغوية والأدوات التي تتجسد من خلالها(١).

مفهوم الإستراتيجية: هي خطة مبرمجة مسبقًا لتحقيق أهداف محددة آنفًا، تعتمد في إنشائها على جانبين، أولهما: تخطيط ذهني مسبق لما ستكون عليه الخطة المتوقعة، وثانيهما: تجسيد فعلي وواقعي لمعطيات ومراحل الخطة المبرمجة، حتى يتم التطابق بين ما هو ذهني وما هو مادي واقعي، مع العلم أن صاحب الإستراتيجية هو من يرتكز عليه الأمر كله، سواء عند التخطيط أو عند التجسيد أو عند استغلال الوسائل والإمكانات المساعدة على بلورة هذا العمل من أجل تحقيق المقاصد والأهداف(٢). والإستراتيجية الخطابية عبارة عن "المسلك المناسب الذي يتخذه المرسل للتلفظ بخطابه من أجل تنفيذ إرادته والتعبير عن مقاصده التي تؤدي إلي تحقيق أهدافه من خلال استعمالات العلامات اللغوية وغير اللغوية وفقًا لما يقتضيه سياق التلفظ لعناصره المتنوعة"(٣).

ويسعى المتكلم في الإستراتيجية الخطابية من خلال تواصله مع المتلقي إلى استغلال الإمكانات اللغوية وغير اللغوية التي تنتظم وفق مقتضيات السياق

(١) ينظر: إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري(مقدمة)، وإستراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي، دليلة قسمية صـ٧١.

(٢) ينظر: آليات بناء الإستراتيجية الخطابية من منظور تداولي، د: جودي حمدي منصور صـ٧٨.

(٣) إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية لعبدالهادي بن ظافر الشهري صـ٦٢.

المحيط وهذا يعني أن الخطاب المنجز يكون خطابًا مخططًا له بصفة مستمرة وشعورية خضعت لتفكير ذهني مسبق يراعي فيه المتكلم طبيعة المتلقي وأحواله، والظروف المحيطة بهما، وطبيعة المحتوى الذي يقصده، والهدف الذي يرمي الوصول إليه من ذلك(١).

أنواع الإستراتيجية الخطابية: الإستراتيجيات الخطابية كثيرة لا يمكن حصرها؛ إذ من الممكن أن يبتكر المرسل(المخاطِب) استراتيجية ما، ومع هذا فقد صنفها العلماء اللسانيون بشكل عام وفق ثلاثة معايير:

المعيار الأول: المعيار الاجتماعي(معيار العلاقات التخاطبية): فالعلاقات التخاطبية تتراوح قربًا وبعدًا، علوًا ودنوًا، وتفرعت عن هذا المعيار إستراتيجيتين أولهما: الإستراتيجية التضامنية (٢)، وفيها يصبح طرفي الخطاب أقران متساويين، ويعبر مرسل الخطاب عن هذه العلاقة بالعديد من الوسائل اللغوية، كالكنايات، وكلمات مثل الضمير: نحن. والثانية: الإستراتيجية التوجيهية(٣)، وفيها يبرز دور

(١) ينظر: آليات بناء الإستراتيجية الخطابية من منظور تداولي، د: جودي حمدي منصور صـ٧٨.

(٢) الإستراتيجية التضامنية: هي التي يحاول المرسل أن يجسد من خلالها درجة علاقته بالمرسل إليه، ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها، ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما، وإجمالًا هي محاولة التّقرب من المرسل إليه وتقريبه وفق جملة من المبادئ تكفل تبليغ المقاصد وتحقيق الأهداف من جهة والمحافظة على العلاقات الاجتماعية من جهة أخرى. ينظر: إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية صـ٢٥٧.

(٣) الإستراتيجية التوجيهية: إستراتيجية يرغب المرسل بها تقديم توجيهات ونصائح وأوامر ونواه يفترض أنها لصالح المخاطَب أو المرسل إليه، ولا يعد التوجيه هنا فعلًا لغويًا فحسب، وإنما يعد وظيفة من وظائف اللغة التي تعني بالعلاقات الشخصية. ينظر: الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، إدريس مقبول صـ٥٤١.

السلطة والقدرة على التوجيه من خلال أساليب الأمر والنهي والعرض والتّحضيض [١] .

المعيار الثاني: المعيار اللغوي(معيار شكل لغة الخطاب): ويتعلق بشكل الخطاب اللغوي للدلالة على قصد المرسل، والقصد إما أن يكون مباشرًا فيستخدم المرسل الإستراتيجية التصريحية، وفيها يكتسب المخاطب السلطة ويتكلم من مواقع القوة والنفوذ، فيصدر الأوامر والنواهي وينفتح أمامه باب التعبير الصريح والمباشر؛ لأن الأفعال التوجيهية قائمة على هذه العلاقة السلطوية بين المخاطب والمخاطب[٢]، وإما أن يكون غير مباشرًا فيستخدم المرسل الإستراتيجية التلميحية[٣]، وهي فتبدو أكثر تعقيدًا من حيث طرق الأداء، ويعمد المتكلم في حالات كثيرة إلى أساليب التعبير الضمني من خلال طرق الإيحاء والمواربة والإلتواء أكثر من أسلوب التعبير الصريح. ومن أبرز الأدوات اللغوية المستخدمة في هذا المعيار أساليب الاستفهام الذي لا يقصد به السائل الوصول إلى إجابة مجهولة بل يهدف إلى أن يفرض الأمر الواقع عليه، كذلك استخدام أنواع المجاز والكنايات والاستعارة والتعريض[٤].

---

(١) ينظر: الإستراتيجيات التداولية في تحليل الخطاب السياسي للقنوات التلفزيونية الفضائية المعادية، د: ايهاب حمدي جمعة صـ٢٢٦.

(٢) ينظر: تحولات الطلب ومحددات الدلالة، حسام أحمد قاسم صـ٥٥ وما بعدها.

(٣) الإستراتيجية التلميحية: هي ما يعبر به المرسل من غير طريق التصريح المباشرة والدلالة الظاهرة بل يختار أن ينقل قصده عبر طرق دلالية غير مباشرة(التضمين والاقتضاء). ينظر: المصطلح الاعلامي العربي دراسة في ضوء اللسانيات التداولية بوكلخة صورية صـ٢٢٩.

(٤) ينظر:الإستراتيجيات التداولية في تحليل الخطاب السياسي، د: ايهاب حمدي جمعة صـ٢٢٦.

المعيار الثالث: معيار هدف الخطاب: وقد تفرعت عنه الإستراتيجية الإقناعية (الحجاجية) فالمرسل (المخاطِب) لا يسوق خطابه إلاّ ويبغي من ورائه تحقيق جملة من الأهداف من بينها السّعي إلى التأثير في المخاطَب واستمالته لأخذ قرار ما أو اتخاذ موقف معين، أو القيام بعمل ما[١]. ويستخدم المرسل لذلك آليات متنوعة وحيلًا لغوية وأشكالا خطابية منها ما يخاطب العاطفة، ومنها ما يخاطب الفكر والعقل، وذلك تبعًا لاختلاف العلاقة بين المرسل و المرسَل إليه، كما أنها تتنوع تبعًا للمجال الذي تمارس فيه الإستراتيجية الإقناعية كالمجال السياسي أو العلمي أو الاجتماعي بغية التأثير. فالإقناع " عملية خطابية يتوخى بها الخطيب تسخير المخاطب لفعل أو ترك بتوجيهه إلى اعتقاد قول يعتبره كل منهما– أو يعتبره الخطيب– شرطًا كافيًا للفعل أو الترك"[٢].

ب) مفهوم الأمر وصيغه: الأمر من الأساليب الطلبية، وهو" نقيضُ النَّهي"[٣].

يقال: " أَمَرَه بِهِ... يَأْمُرُه أَمْرًا وإِمارًا فأْتَمَرَ أَي قَبِلَ أَمْرَه"[٤]. وقد جمع ابن فارس معاني الأمر فرد المعنى المحوري لتركيب(أ م ر) إلى" أُصُول خَمْسَة: الْأَمْرُ مِنَ الْأُمُورِ، وَالْأَمْرُ ضِدُّ النَّهْيِ، وَالْأَمَرَ النَّمَاءُ وَالْبَرَكَةُ... وَالْمَعْلَمُ، وَالْعَجَبُ. فَأَمَّا الْوَاحِدُ مِنَ الْأُمُورِ فَقَوْلُهُمْ: هَذَا أَمْرٌ رَضِيتُهُ وَأَمْرٌ لَا أَرْضَاهُ... وَالْأَمْرُ الَّذِي هُوَ نَقِيضُ النَّهْيِ قَوْلُكَ: افْعَلْ كَذَا. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: يُقَالُ: لِي عَلَيْكَ أَمْرَةٌ مُطَاعَةٌ، أَيْ لِي عَلَيْكَ أَنْ آمُرَكَ مَرَّةً وَاحِدَةً فَتُطِيعَنِي"[٥].

(١) ينظر: الحجاج والاستدلال الحجاجي، حبيب أعراب صـ١٢٢.

(٢) في بلاغة الخطاب القرآني، محمد العمري صـ٤٥.

(٣) العين للخليل ٨/ ٢٩٧ (أ م ر).

(٤) لسان العرب ٤/ ٢٦ وما بعدها (أ م ر).

(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١/ ١٣٧(أ م ر).

الأمر اصطلاحًا: هو طلب تحقيق شيء ما بصيغة مخصوصة. وعرفه القزويني بأنه " استعمال صيغة دالة على طلب من المخاطب على طريق الاستعلاء"(١). وقال عنه الزمخشري:" طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه"(٢).

زمن فعل الأمر: يذكر النحاة أن الأمر مستقبل أبدًا؛ لأنه مطلوب به حصول ما لم يحصل أو دوام ما حصل نحو:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب:١]، إلا أن يراد به الخبر نحو قوله(ﷺ) لشخص رمي في الحج بعد الذبح: ارم ولا حرج، فليس القصد أمره بالمرمي في المستقبل؛ لأن الرمي قد حصل في الماضي، وإنما المعنى هو الموافقة على ما فعل، ونحو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ٩٩﴾ [يوسف]، فقوله:﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ﴾ كان بعد دخولهم إياها فهو أمر يفيد المضي. وقد يكون زمن فعل الأمر أوسع من ذلك فيكون دالًا على الحال، نحو قوله تعالى:﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ٤٨ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩﴾ [الدخان]، فزمن الذوق مصاحب لصب الحميم(٣).

صيغ الأمر: للأمر صيغ تستعمل للدلالة على طلب حصول الفعل، وهي: ١- فعل الأمر وصيغته(افعل)، وهو أكثر الصيغ استعمالًا، نحو قوله تعالى:﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ﴾. ٢- المضارع المقرون(المجزوم) بلام الأمر: نحو قوله: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ﴾. ٣- اسم فعل الأمر: وذلك كقولك: صه، فهو

(١) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني صـ١٤٣، والعلماء لم يتفقوا على وجوب الاستعلاء في الأمر، فمنهم من يشترطه ومنهم من لا يشترطه. ينظر: الإبهاج في شرح المنهاج للسبكي ٦/٢.

(٢) الكشاف للزمخشري ١/ ١٢١.

(٣) ينظر: همع الهوامع للسيوطي ٣٥/١، ومعاني النحو، د/ فاضل السامرائي ٣١/٤ وما بعدها.

بمعنى: اسكت. ٤- المصدر النائب عن فعل الأمر: وهو يؤدي وظيفة الأمر[١]، نحو قوله تعالى:﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾.

حقيقة الأمر الموضوعة له: يرى العلماء أن الأمر يستعمل في الوجوب والمراد به الإلزام، وحينئذ يكون الطلب للاستعلاء، وبعضهم يرى أنه للندب، وحينئذ يكون الطلب لغير الاستعلاء، وآخرون يرون أنه يستعمل في معنى يشمل الوجوب والندب، ويرى آخرون أنه من الألفاظ المشتركة بينهما، أو بينهما وبين الإباحة[٢].

دلالة الأمر بين الحقيقة والمجاز: المعنى الأصلي للأمر طلب الحصول على شيء لم يكن حاصلًا وقت الطلب على وجه الاستعلاء، وقد يخرج عن معناه الأصلي إلى معانٍ مجازية لدلالة تفهم من السياق وقرائن الأحوال؛ ليثير الانتباه ويوقظ الذهن ويعمل العقل ويأخذ المتلقي إلى ما وراء الظاهر، ويمتع النفس بالمشاركة الوجدانية بين المتكلم والسامع أو المتلقي ليفيد فوائد، كالدعاء والرجاء والالتماس والذم والتحقير[٣]. وخروج الأمر الّذي يتضمن قوة إنجازية لهذه الفوائد والمقامات التي يقتضيها مقتضى الحال تفرضها مرتبة المأمور لا الآمر[٤].

(١) ينظر: شرح جمل الزجاجي، للإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف الأنصاري صـ٢٨٩.

(٢) ينظر: علم البيان دراسة تحليلية لمسائل علم البيان، بسيوني عبد الفتاح فيود صـ ٣٥٥.

(٣) ينظر: الكافي في البلاغة، عبدالغني أيمن أمين صـ٣٣٢.

(٤) ينظر: إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري صـ٣٤٢.

المبحث الأول

الإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية في عواقب رؤيا يوسف دراسة تداولية

تمثل سورة يوسف[(١)] وقصته فيها معجزة قرآنية– على كافة المستويات اللغوية والقصصية التاريخية– بما فيها من إعجاز لفظي ودلالي وأحداث متصلة يؤخذ منها العبر، حيث تعرضت السورة للجزء الأول من حياة يوسف، والذي يبدأ بالرؤيا المنامية التي جلبت عليه العديد من ألوان الآلام والمحن، بدأت بإخوته، ثم توالت ببيعه كرقيق؛ ليظل عند امرأة العزيز التي جلبت عليه أعظم الابتلاءات والمكايد، ثم انتهت بدخوله السجن ومرارة الظلم، وقد تخلل كل هذه الأحداث صدور أوامر من عدة أطراف كان لها عظيم الأثر علي حياة يوسف ومحنته، وسوف أقوم بتحليل هذه الأوامر التي اتخذت إستراتيجية في التخاطب استهدفت فهم المقصود من الأمر وغرضه، وتأثير ذلك علي المتلقي في ضوء النظرية التداولية.

المشهد الأول: تآمر إخوة يوسف عليه

١– قوله تعالى:﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ

(١) سورة يوسف هي(١٢) في ترتيب المصحف، وترتيبها في النزول(٥٣)، ونزولها بعد سورة هود؛ لما يجمع بينهما من تسلية لرسول(ﷺ) بقصص الأنبياء السابقين، وما لاقوا من أذى الأباعد كقصص سورة هود، وأذى الأقارب كقصة يوسف، وعدد آياتها(١١١) آية. والصحيح أن جميعها مكية، وقيل: إِلَّا الْآيَاتِ:(٧,٣,٢,١) فَمَدَنِيَّةٌ، وورد في سبب نزولها روايات، منها ما روى عن سعد بن أبى وقاص أنه قال: أنزل القرآن على رسول الله(ﷺ) فتلاه على أصحابه زمانًا، فقالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا. فنزلت سورة يوسف. وقيل: إن اليهود والنصارى قالوا لأصحاب النبيّ(ﷺ): سلوا صاحبكم ما كان سبب انتقال يعقوب وأولاده من كنعان إلى مصر، ومبدأ أمرهم، فنزلت. ينظر: أسباب نزول القرآن للواحدي صـ٢٧٥، ومفاتيح الغيب ٤١٦/١٨، والتفسير الوسيط، مجموعة من العلماء ٢٧٣/٤، والتفسير الوسيط، د: محمد سيد طنطاوي ٧/ ٢٩٩.

مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمًا صَٰلِحِينَ ۝٩﴾.

المناسبة السياقية: يتضح من مطلع سورة يوسف ما تستهدفه من أمور، وهي إثبات إعجاز القرآن أولًا بتحديه بالإتيان ببعض الحروف المقطعة التي عجز أرباب الفصاحة عن الإتيان بمثلها:﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢﴾ وثانيًا: عرض قصة نبي الله يوسف مع أبيه وإخوته وغيرهم، ويكون هذا معجزة لرسول الله محمد(ﷺ) دالة علي صدقه، وفي الوقت نفسه تكون تسلية له عن أذى قومه﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ﴾ في المنام﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا﴾ رمز وكناية عن إخوته[1].﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ رمز لأبويه يعقوب وراحيل بنت لاتان، وقيل: لأبيه وخالته؛ لأن أمه قد ماتت، والجمهور: إنه رأى كواكب والشمس والقمر على سبيل الحقيقة[2].﴿رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ تعظيمًا لا عبادة على أي وجه كان السجود، وقد علم يعقوب(عليه السلام) أن هَذِهِ الرُّؤْيَا إِلْهَام ووَحْي من عند الله، وليست من أَضْغَاث الْأَحْلَام، كما يدل عليه السياق اللغوي البعدي في الآية التي بعدها حيث نجده فسر الرؤيا﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ...﴾ [يوسف:٦]، ونهاه عن قص ما رأى؛ لأنه علم أن إخوته إذا سمعوها حسدوه وكادوا الحيل لهلاكه كيدًا مؤكدًا، لاسيما وأن يوسف كان أحب وأعطف أولاده كما هو واضح من السياق العمومي للسورة كما سيأتي، وهنا تبدأ الحلقة الأولى من قصة يوسف:

---

(١) روي أن أسماء أولاد يعقوب هي: روبيل وشمعون ويهوذا ولاوي، فهؤلاء من امرأته ليا بنت خالة يعقوب. ويوسف وبنيامين، من امرأته الأخرى راحيل، والباقون من أمتين(زلفة وبلهة) وأنجبوا ستة هم: يستر وزوبولون ودون ونفتال وحوذ وأشير. ينظر: بحر العلوم للسمرقندي ١٨١/٢.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ١٨١/٣، وزاد المسير لابن الجوزي

والسياق القرآني لم يذكر هل عرف إخوة يوسف رؤيا يوسف أم لا، بل ذكر أن يعقوب(عليه السلام) قد نهى يوسف أن يذكر رؤياه لإخوته كلًا أو بعضًا، وهذا يبعد أن يكون يوسف قد ذكر رؤياه لهم، فلا يليق بيوسف(عليه السلام) أن يخالف كلام والده، ومع كل هذا نجد أن إخوته قد تآمروا على قتله، ويبدو أن هذا بسبب أنهم يرون إيثار أبيهم ليوسف وأخيه الشقيق(بنيامين) وحبه لهما أكثر منهم، وهو ما ذكره السياق القرآني حيث حكى الحوار الذي داره إخوة يوسف﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ والحال أننا جماعةٌ قوية يشتد بنا ساعده، "ويجوز أن تكون جملة ونحن عصبة عَطْفًا على جملة لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إلى أبينا. والمقصود لازم الخبر وهو تجرئة بعضهم بعضًا عن إتيان العمل الذي سَيُغْرِيهم به في قولهم:﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾ أي إنا لا يعجزنا الكيد ليوسف وأخيه فإنا عصبة، والعصبةُ يهونُ عليهم العمل العظيم الذي لا يستطيعه العدد القليل...وتكون جملة﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ تعليلًا للإغراء وتفريعًا عليه... وإنما جعلوا الكلام السابق كالمُقدِّمة لتتأثَّر نفوسُ السامعين فإذا أُلْقِيَ إليها المطلوب كانت سريعة الامتثال إليه"(١).

التحليل التداولي للإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية في الآية: لما قوي حسد إخوة يوسف له استبد بهم حقدهم عليه حتى بلغ نهايته فاختل تقديرهم للحدث، وتضخم إيثار أبيهم ليوسف حتى ساوى القتل﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾ وهنا نجد السياق القرآني ينتقل انتقالًا مفاجئًا، فهم لا يزالون في حكاية إيثار أبيهم ليوسف ليأتي الأمر الإنجازي مباشرة﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾ والمعنى المحوري لتركيب(ق ت ل) " أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِذْلَالٍ وَإِمَاتَةٍ. يُقَالُ: قَتَلَهُ قَتْلًا...يُقَالُ قَتَلَهُ قِتْلَةَ سُوءٍ"(٢). وهذا الأمر كفيل بتحريك الانتباه للحدث؛ إذ

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٢/ ٢٢١ وما بعدها.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥/ ٥٦ (ق ت ل).

"الْقَتْـل: تخريـب البنيـة علـى وجـه لا يصـح معهـا وجـود الحيـاة"(١).

ولا شك أن تصدر الآية بأول أمر إنجازي(ٱقْتُلُواْ) يضفي على السورة جو الهلع والذعر والرعب المزلزل، ويصور حقيقة ما تنطوي عليه نفوس إخوة يوسف من حقد وكره عجاب يغلى في صدورهم ويتملك عقولهم تجاه أخيهم.

واختلفوا في قائل الأمر الإنجازي؟ على قولين: أحدهما: أنه بعض إخوته؛ إذ الظاهر أَن﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾ من جملة قولهم السابق:﴿قَالُواْ لَيُوسُفُ...﴾، وقد قاله بعض منهم مخاطبًا للباقين بقضية الصيغة، فكأنهم رضُوا بذلك، فجعلوا آمرين وأُدرجوا تحت القول المسند إلى الجميع إلا من قال لا تقتلوا الخ. والثاني: هو من قول قوم استشارهم إخوة يوسف فيما يفعل به فقالوا ذلك(٢). وهو خلاف الظاهر ولا دليل له، والظاهر أن القائل خيرهم بين الأمرين القتل والطرح(٣).

والأمر الإنجازي في قوله:﴿أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ الظاهر أنه من قول إخوة يوسف أن يفعلوا به أحد الأمرين، ويجوز أن تكون أو للتنويع أي: قال بعض: اقتلوا يوسف، وبعض: اطرحوه (٤).

وفعل الأمر الإنجازي بالطرح يفيد معنى الإهانة؛ إذ " الطِّرْح: الشَّيْءُ المطروحُ لا حاجة لأحَدٍ فيه"(٥)."وطَرَّحَهُ تَطْرِيحًا، إذا أَكْثَرَ من طَرحِهِ"(٦). كما يفيد معنى الإبعاد إلى أقصى غاية ومسافة؛ فالمعنى المحوري لتركيب(ط ر ح)"

(١) تفسير القران لأبي المظفر السمعاني ٣/ ١٠.

(٢)اختلفوا في أي اخوة يوسف أمر بالقتل. فقال وَهْبٌ: إِنَّهُ شَمْعُونُ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: رُوبِيلُ. وَقَالَ كَعْبٌ: دَانُ. أو قاله كلٌّ واحدٍ منهم مخاطبًا للبقية وهو أدلُّ على مسارعتهم إلى ذلك القولِ. ينظر: الكشف والبيان للثعلبي ٥/ ١٩٩، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ٤/ ٢٥٦.

(٣) ينظر: روح المعاني للألوسي ٦/ ٣٨٣.

(٤) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٦/ ٢٤٣.

(٥) كتاب العين للخليل ٣/ ١٦٩(ط ر ح).

(٦) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ١/ ٣٨٧ (ط ر ح).

أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى نَبْذِ الشَّيْءِ وَإِلْقَائِهِ... ومن ذلك الطرح، وهو المكان البعيد"[١]. ويذكر أستاذنا الدكتور جبل أن المعنى المحوري هو" ابتعاد الشيء أو إبعادُه مسافة عظيمة بدفع أو قوة كالمكان البعيد...﴿ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا﴾ المعنى أبعدوه إلى أرض بالغة البعد بحيث لا يستطيع أبوه أن يراه"[٢]. ولذا أوصلوا الفعل﴿ٱطۡرَحُوهُ﴾ بـ﴿أَرۡضٗا﴾ بدون حرف ونكروها وأخلوها من الوصف للإبهام، أي أرضًا مَنْكُورةً مجهولة بعيدة من العمران يهلك فيها ولا يقدر عليه أبوه فيها، وهي ما ليس له حدود تحصره، ولا أقطارٌ تحويه، وفيه إشارة إلى أن التغريب يساوي القتل في حصول المقصود؛ ولهذا نصبت نصب الظروف المبهمة كما ذهب إليه الزمخشري وغيره[٣].

ويبدو أن فعل الأمر الإنجازي في:﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ﴾ليس على العزيمة على قتله، ولكن على المشورة فيما بينهم، نفعل ذا أو نطرحه أرضًا، كما جاء في قوله:﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ﴾، يدل على ذلك قوله:﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾ أنهم أرادوا أن يخلو وجه أبيهم لهم بغيبته عنه لا قتله[٤].

وقوله:﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ..﴾ علة فعل الأمر الإنجازي، والغرض من هذه الجملة التعليلية من المخاطِب إغراء المخاطَبين(الإخوة) واستمالتهم واستنهاض همتهم تجاه تنفيذ الأمر الإنجازي حتى لا يركنوا الي الخمول والكسل في تنفيذ أمر القتل. وقوله:﴿يَخۡلُ الْخُلُوُّ: الْفَرَاغُ، يقال:" خَلاَ المكانُ والشيءُ يخْلُو خُلُوًّا وخَلاَءً وأَخْلَى: إذا لم يكنْ فِيهِ أحدٌ، وَلَا شيءَ فِيهِ"[٥]. وهو مستعمل هنا

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣/ ٤٥٥ (ط ر ح).
(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن، د: محمد حسن جبل ٣/ ١٣٢١ (ط ر ح) .
(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري، ٢/ ٤٤٧، وتفسير حدائق الروح والريحان ١٣/ ٣٢٥.
(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي ٦/ ٢١٢.
(٥) تهذيب اللغة للأزهري ٧/ ٢٣٣ (خ ل ا).

مجازًا في عدم التوجه لمن لا يرغبون توجُّهه له، فكأن الوجه خلا من أشياء كانت حَالَّة فيه جسدًا وسيرة، ويتضامن تقديم قوله:﴿لَكُمْ﴾ بما فيه من لام العلة على قَوله:﴿وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ للمبالغة في حملهم على القبول، أي يَخْل وجه أبيكم لأجلكم، فينفرد وتخلص محبته لكم دون مشارك، فالجملة تصوّر حَصْرَ الحُبّ وَتَوَجُّه الإقبال والعطف بصورة الضروريات التي لا اختيار للرأيِ ولا للإرادة فيها، لا من ظاهر الحِس، ولا من وجدان النفس(١). والوجه هنا "قيل: الذات، أي يَخْل لكم أبوكم. وقيل: هو استعارة عن شغله بهم، وَصَرف مودته إليهم؛ لأن من أقبل عليك صرف وجهه إليك"(٢).

والضمير في﴿بَعْدِهِۦ﴾ عائد على يوسف، أو قتله، أو طرحه. وصلاحهم إما صلاح حالهم الدنيوي عند أبيهم، أو صلاحهم الديني بالتوبة والتنصل من هذا الفعل، ويبعده أن الضمير في قوله:﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ معطوف على ﴿يَخْلُ﴾ ليكون من جملة الجواب للأمر، فتعين أن يكون المراد من الصلاح الدنيوي(٣).

وهنا نجد السياق القرآني يحكي عن إستراتيجية الحقد والقسوة التي ملأت قلوب الإخوة تجاه أخيهم، فإما القتل الصريح، أو ما يؤدي إلى القتل ليتخذوا استراتيجيتين أولاهما تصريحية بالقتل، أو تلميحية بطرحة في مكان(أرض) يؤدي به إلى نفس العاقبة.

المشهد الثاني: استجلاب شفقة النسب

٢- قوله تعالى:﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾.

التحليل التداولي للإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٢/ ٢٢٣، وتفسير القرآن الحكيم لمحمد رشيد رضا ١٢/ ٢١٦.
(٢) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٦/ ٢٤٣.
(٣) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٢٤٣، والتحرير والتنوير ١٢/ ٢٢٤.

في الآية: ظل مجلس التآمر منعقدًا، ومع هذا لم يخل من تحقق داع من دواعي الخير في قلوب أحد الإخوة، فمنعه الخوف من ربه وشفقة النسب من الإقدام على جريمة بشعة من أكبر الكبائر ليقترح حلًا وسطًا يحقق غرض إخوته من الإبعاد ويشفي غليلهم، وفي نفس الوقت يضمن نجاة أخيه(يوسف) من مكيدتهم، فـ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ أبهم السياق القرآني اسم القائل وعدل إلى التنكير والوصفية؛ سترًا على المسيء وعدم الفائدة في تعيين شخص القائل، وإنما الفائدةُ في وصفه بأنه منهم، وأنهم لم يجمعوا على قتله(١). وقد اختلف العلماء في قائلهم الذي نهي عن القتل وأمرهم بإلقائه في الجب علي ثلاثة أقوال(٢). ولكنه عينه بعض التعيين فـ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ أي من إخوة يوسف﴿لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾ أظهره في مقام الإضمار استجلابًا لشفقتهم عليه أو استعظامًا لقتله، فإنه يروى أنه قال لهم: القتلُ عظيمٌ. أي: لا تقتلوا يوسف بأيديكم ولا بالإلقاء في المهالك، فإن القتل أكبر الكبائر بعد الشرك(٣).

وأمرهم بالفعل الإنجازي فقال:﴿وَأَلْقُوهُ...﴾ دون اللجوء إلى النهي عن الخصلة الأخرى– وهى الطرح في أرض منكرة بعيدة– ليحيلهم إلى ما ينبغي فعله، وَأصل الْإِلْقَاء:" طرح الشيء حيث تلقاه، أي: تراه، ثم صار في التّعارف اسما لكلّ طرح"(٤). وأَلْقَيْتُهُ: نَبَذْتُهُ إِلْقَاءً، واللَّقَى: كلُّ شيءٍ مَتْرُوك مطروح

(١) ينظر: التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ١٢/ ٢٢٤ وما بعدها.

(٢) الوجه الأول: أنه رُوبِيل، وهو أَكْبَرُهم سِنًّا، وابن خالة يوسف. والوجه الثانِي: أنه شَمْعُون، وكان أشجعهم، وهذا عطف منه على أخيه لما أراد الله إنفاذ قضائه، والوجه الثالث: أَنه يهوذا، وهو قول ابن عباس والأكثرون وأصحها، وكان أقربهم إلي يوسف سِنًا وأعقلهم وأقدمهم في الرأي والفضلِ، وهو الذي قال:﴿فَلَن أَبرَحَ ٱلأَرضَ حَتَّىٰ يَأذَنَ لِيٓ أَبِي...﴾. ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب٥/ ٣٥٠٧، وتفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني ٣/١٠ وما بعدها.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود٤/ ٢٥٦، ومحاسن التأويل للقاسمي ٦/ ١٥٦.

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني صـ٧٤٥.

كاللُّقَطَة[١].

قوله:﴿غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ قرأ نافع﴿غَيَابَاتِ الْجُبِّ﴾ على الجمع والباقون على الواحد[٢]، والمقصود موضوع واحدٌ مِنَ الْجُبِّ يَغِيبُ فِيهِ يُوسُفُ، ووَجْهُ الغياباتِ أن للجب أقطارًا ونواحيَ، فيكونُ فيها غيابات، ففيه إشارة إلى سعتها، أو أراد بالجب الجنس أي في بعض غيابات الجب[٣]. قال أهل اللغة: الْغَيَابَةُ كُلُّ ما غَيَّبَ شَيْئًا وَسَتَرَهُ، قال شمر: كلُّ مكانٍ لا يُدْرَى ما فيه، فهو غيبٌ، والجُبُّ: البِئرُ، وقيل: هي البئر لم تُطْوَ، أي غَيْرُ الْمَبْنِيَّةِ من داخلها بالحجارة. وقيل: هي الجَيِّدةُ الموضعِ من الكَلإِ. وقال الليث: الجُبّ: الْبِئْرُ غيرُ البعيدةِ، وقيل: هي البئر الكثيرةُ الماءِ البعيدةُ القعر. وقيل: لَا تكونُ جُبًّا حتى تكون مما وُجِدَ لَا مِمَّا حفَرَه الناس[٤]. والتعريف في الجُبِّ تعريف العهد الذهني، فعَيَّن ذلك الْجُبَّ للعلة التي ذكرها وهي:﴿يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ وذلك لأن تلك البئر كانت مَعْرُوفةً وكانوا يردون عليها كثيرًا ويرد عليها كثير من المسافرين، وكان يَعلم أنه إذا طُرِح فيها يكون إلى السلامة أقرب، فلذا قال لهم:﴿ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾، ولم يقل ألقوه في غيابة جب[٥]. قال ابن عباس: التقط يوسف ناس من الأعراب[٦]. وقوله:﴿يَلۡتَقِطۡهُ...﴾ علة وجواب لفعل الأمر في قوله: ﴿وَأَلۡقُوهُ﴾ والتقدير: إن تُلْقُوه يلتقطه، والمقصود من التسبب الذي يفيده جواب الأمر إظهار أن ما أشار به القائل(المخاطِب) من إلقاء يوسف في غيابة جُبٍّ هو أَمْثَل مما أشار به الآخرون من قتله أو تركه بفيفاء مُهْلِكَةٍ؛ لأنه يحصل به إبعاد يوسف

(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ٩/ ٢٢٩ (ل ق ا)، ومقاييس اللغة ٥/ ٢٦١ (ل ق ي).
(٢) ينظر: الحجة للقراء السبعة لأبي عَلِي الفارِسي ٣٩٩/٤.
(٣) ينظر: النكت والعيون للماوردي ٣/ ١١، ومفاتيح الغيب للرازي ٤٢٥/١٨.
(٤) ينظر: لسان العرب لابن منظور ١/ ٢٥٠ (ج ب ب)، ١/ ٦٥٤ (غ ي ب).
(٥) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي ١٨/ ٤٢٥، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء ٤/ ٢٨٧.
(٦) ينظر: الدر المنثور للسيوطي ٤/ ٥٠٩.

عن أبيه إبعَادًا لا يرجى بعده تلاقيهما دون إلحاق ضر الإعدام بيوسف، فيحصل مطلوبكم من غير ارتكاب كبيرة يخاف معها سدّ باب الصلاح، فَإن التقاط السيارة إياه أَبْقَى له وَأَدْخل في الغرض المقصود لهم وهو إبعاده، وإنما قال القائلُ هذا حتى لا يحتاجوا إلى حمله إلى موضع بعيد، فكان هذا وجهًا في التدبير حتى لا يحتاجوا إلَى الحركة بأنفسهم، فربما لا يأذن لهم أبوهم، وربما يَطَّلِعُ على قصدهم، أما إذا التقطه أحد من السَّيَّارة أخذوه عندهم أو حملوه إلى موضِع بعيد لبيعه بحيث يَخفى عن أبيه ومن يعرفه فيزداد بُعْدًا على بُعْدٍ[١]. والالتقاط: أن تعثر على الشيء من غير قصد وطلب أو من غير أن ترجوه أو تحتسبه، ووردت الماء والشيءَ التِقاطًا: إذا هجمت عليه بغتة ولم تَحْتَسبه[٢]. ومقصد الأخ أن يأخذه حيًا بعض الجماعات على وجه الصيانة من الضياع والتلف؛ فإن الالتقاط: أخذ الشيء المطروح المشرف على الضياع، و﴿بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ جمع سيّار وهي الجماعة الموصوفة بحالة السير وكثرته، وفيه قولان: أحدهما: أنهم المسافرون. الثاني: أنهم مارة الطريق[٣].

وقوله:﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ شرط حذف جوابه لدلالة (وألقوه)، أي إن كنتم فاعلين إِبْعَادَهُ عن أبيه فَأَلْقُوه في غيابات الجُبِّ ولا تقتلوه، وفِيهِ محاولة من أخيهم(المخاطِب) لتثبيط إخوته(المخاطَبون) عما اقترحوه من القتل والتغريب، وإشارة إلى أن الْأَوْلَى أن لا تفعلوا شيئًا من ذلك، وأما إن كان ولا بُدَّ فاقتَصِروا على هذا الْقَدْر[٤]. وقد جاء الشرط هنا على سبيل المشورة والعرض الذي يدل على فطنة المخاطِب(الأخ) فلم يقطع القول على المخاطبين(إخوته)؛ ليستميل قلوبهم، وحتى لا ينسبوه إلى الافتيات والتحكم، ومن ثمّ يتوجهوا إلى رأيه.

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/ ١٣٣، والتحرير والتنوير ١٢/ ٢٢٥ وما بعدها.
(٢) ينظر: لسان العرب ٧/ ٣٩٣ وما بعدها (ل ق ط).
(٣) ينظر: النكت والعيون للماوردي ٣/ ١٢، وروح المعاني للألوسي ٦/ ٣٨٤.
(٤) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي ١٨/ ٤٢٥، والتحرير والتنوير ١٢/ ٢٢٦.

وهنا نجد أن الأخ(المخاطِب) سلك في التخاطب إستراتيجية الفطنة؛ فاستدراج إخوته(المخاطَبون) فنهاهم عن ما قد عزموا عليه من قتل أخيهم يوسف- الذي أظهره هنا استثارة لشفقة النسب واستدرارًا لعطفهم على أخيهم- أو طرحه أرضًا، ليستخدم أسلوب النهي عن قتل يوسف، ثم جاء بفعل الأمر ليخفف حدة الغيظ، ثم جاء بإسلوب الشرط محذوف الجواب؛ لتتكاتف الآية بأكملها لتحقيق الغاية، وهي إقناع المخاطبين بالابتعاد عن إيذاء يوسف.

المشهد الثالث: تنفيذ إخوة يوسف مؤامرتهم

٣- قوله تعالى:﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾.

المناسبة السياقية: ما زال السياق في قصة يوسف متصلًا، فالسياق لم يكد ينتهي من ذكر مرحلة ظهور الحسد البغيض، والتآمر والتدبير السيئ من إخوة يوسف له، ولم يخلص من مرحلة إرشاد أخيهم لهم بعدم قتل يوسف وإلقائه في الجب لتنتقل انتقالًا مباشرًا وتفاجئنا ببدأ مرحلة التنفيذ بلا رحمة وبإحكام، وإذا بالإخوة بين يدي أبيهم، ويبدوا أنهم تدارسوا في أسلم الطرق لتنفيذ مؤامرتهم، ووجدوا أن الحاجز الوحيد أمامهم هو كيفية خداع أبيهم يعقوب، فأَعْمَلُوا الحيلة وتلطفوا معه مكرًا فِي إخراج يوسف معهم، فقال واحد منهم لأبيه وفي حضور الإخوة يعتب عليه بظاهر من القول على سبيل الشكوى وإظهار الحزن[(١)]: ﴿يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ خاطبوه بلفظ الأبوة الذي يجمعهم بيوسف استعطافًا له[(٢)]. وقوله:﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ أي والحال أننا نقوم بمصالحه، وقيل: نعطف عليه ونبره[(٣)].

التحليل التداولي للإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية

(١) ينظر: زهرة التفاسير لأبي زهرة ٧/ ٣٨٠٧، والتفسير الوسيط للزحيلي ٢/ ١٠٩٥.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٤/ ٢٥٧، وفتح القدير للشوكاني ٣/ ١٢.

(٣) ينظر: تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني ٣/ ١٢.

في الآية: طلب أبناء يعقوب من أبيهم أمرًا- بعد ذلك- على سبيل الإنجاز ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢﴾ قال مقاتل: في الكلام تقديمٌ وتأخير، وذلك أنهم قالوا لأبيهم: أرسله معنا، فقال أبوهم: إني ليحزنني أن تذهبوا به، فحينئذ قالوا: يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون[١].

والأمر الإنجازي بطلب الإرسال بلفظه يقتضي منهم المخادعة؛ إذ الإرسال لا يفيد معنى الإطلاق والتَّخْلِية والانبعاث والامتداد فقط[٢]، بل فيه كذلك معنى الترفق واللين والاستئناس، فهم يريدون أن يقولوا لأبيهم أن إرسال يوسف معهم فيه إطلاق له من قيد الحبس والمكوث في البيت مما يحرره من الملل والشعور بالكسل، فالفعل الإنجازي(أرسله) وإن جاء في صورة الأمر مما يضفي عليه وصفًا استرتيجيًا توجيهيًا إلا أن مادة الفعل وما تدل عليه من وصف التحرر والانطلاق والاسترسال في لين ورفق عدلت به من حقيقته إلى جعله وسيلة من وسائل الإقناع، يقول الخليل:" الرَّسْلُ: الذي فيه استرسال ولين، وناقة رَسْلةُ القوائم: أي سَلِسَةٌ لَيِّنَةُ المَفاصِل"[٣]. وفي اللسان" الرِّسْل والرِّسْلَة: الرِّفْق والتُّؤَدة... يُقَالُ: تَرَسَّلَ الرجلُ فِي كَلَامِهِ وَمَشْيِهِ إِذا لَمْ يَعْجَل... وسَيْرٌ رَسْلٌ: سَهْل... وَهُمْ فِي رَسْلة مِنَ الْعَيْشِ أَي لِينٍ... واستَرْسَلَ إِليه أَي انْبَسَطَ واستأْنس... الاسْتِرْسَال: الِاسْتِئْنَاسُ والطمأْنينة إِلى الإِنسان والثِّقةُ بِهِ فِيمَا يُحَدِّثه، وأَصله السُّكُونُ وَالثَّبَات "[٤]. وفي لفظة:(أَرۡسِلۡهُ) دليل على أنه كان يمسكه

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٢/ ٣٢١، ومعالم التنزيل للبغوي ٢/ ٤٧٨.

(٢) يقول ابن فارس:" الرَّاءُ وَالسِّينُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ، يَدُلُّ عَلَى الِانْبِعَاثِ وَالِامْتِدَادِ. فَالرَّسْلُ: السَّيْرُ السَّهْلُ. وَنَاقَةٌ رَسْلَةٌ: لَا تُكَلِّفُكَ سِيَاقًا... وَاسْتَرْسَلْتُ إِلَى الشَّيْءِ، إِذَا انْبَعَثَتْ نَفْسُكَ إِلَيْهِ وَأَنِسْتَ". معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٣٩٢ (ر س ل).

(٣) كتاب العين للخليل ٧/ ٢٤٠ وما بعدها (ر س ل).

(٤) لسان العرب لابن منظور ١١/ ٢٨١ وما بعدها (ر س ل).

ويصحبه دائمًا [١]. والمراد أرسله "إِلَى الصَّحْرَاءِ"[٢]. وقد تضافرت مع إستراتيجية الأمر وسائل أخرى كالمعية في قولهم(مَعَنَا) ففيها معنى الإغراء لأبيهم؛ لتضمنها معنى الاجتماع والقوة والحماية فهو في حمايتهم، وفي الظرف(غَـدًا) دلالة على تمكن الحقد منهم، فهم لا ينتظرون أكثر من الغد حتى لا يتركوا فرصة لأبيهم يتدبر أمره، ويسدوا عليه باب التفكير في رفض مطلبهم، ولعل الوقت قد داهمهم حين التآمر فلم يجدوا وقتًا أقرب من الغد؛ إذ" الغُدْوَة، بِالضَّمِّ: البُكْرَة مَا بَيْنَ صَلاةِ الغَداة وطلُوعِ الشَّمْسِ... أَصلُ الغَدِ، وَهُوَ اليومُ الَّذِي يأْتي بعدَ يومِك"[٣].

كما دعموا إستراتيجية الأمر بإبراز العلة والفائدة من خروجه معهم وهي قوله:﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾[٤]، فهي تضفي معنى مشاركتهم له فرحته بالرتوع واللعب، والغرض من علة الأمر الإنجازي التأثير على عاطفة أبيهم الذي يتمنى سعادة ابنه، ولعل الرتوع يفيد تهيئة الزمان(في الربيع) والمكان(الخصب)، يقول الخليل:" الرَّتْعُ: الأَكل وَالشُّرْبُ في الربيع رَغَدًا... والرَّتْعُ لا يكون إلا في الخصبِ"[٥]. والأصل في الرَّتْع: أكل البهائم في الخصب زمن الربيع، ويستعار للإنسان إذا

(١) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٦/ ٢٤٥.

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٢/ ٦٠٢.

(٣) لسان العرب لابن منظور ١٥/ ١١٦(غ د ا).

(٤) للمفسرين في معني الرتع واللعب أقوال: أحدها: يلهو ويلعب، قاله الضحاك. الثاني: ويلهو، قاله قتادة. الثالث: نَتَحَارَسُ وَنَتَكَالأُ، يَحْفَظُ بَعْضُنَا بَعْضًا ونلهو، قاله مجاهد. وعلى هذا فهو افتعال من الرعاية بمعنى الحفظ، لا من رعي الماشية. الرابع: قال مقاتل: يعني ينشط ويفرح، والعرب تقول: رتعت لك يعنى فرحت لك، ونلعب نتلاهى. الخامس: نطعم ونتنعم، مأخوذ من الرتعة وهي سعة المطعم والمشرب، وقرأ:(يَرْتَعِ وَيَلْعَبْ) بكسر العين من يرتع، تأوّله عبد الرحمن بن زيدِ بن أَسْلَم: يَرْعَى غَنَمَهُ، وَيَنْظُرُ، وَيَعْقِلُ، وَيَعْرِفُ مَا يَعْرِفُ الرِّجَالُ. وبذا يجتمع النفْعُ والسرورُ. ينظر: جامع البيان للطبري ١٥/ ٥٧٠ وما بعدها، والنكت والعيون للماوردي ١٢/٣.

(٥) كتاب العين للخليل ٢/ ٦٧ وما بعدها (ر ت ع).

أريد به الأكل الكثير، تَقُولُ:" رَتَعَ يَرْتَعُ، إِذَا أَكَلَ مَا شَاءَ"[١]. وذكر ابن الأَعرابي أن الرَّتْع: الأَكل بشَرَهٍ. والمراد به هنا نشاطه في الأكل المستتبع لحسن نموه، ولذا قرنوه باللعب، فإنه يساعد على ذلك[٢]. وقوله:(وَيَلْعَبْ) لعب أهل البادية أكثَرَهُ السباق والصِّراع والرَّمي بِالْعِصِيّ والسِّهام إن وُجدت، ولعبهم هنا كان الاستباق بالعَدْو على الْأَرْجُل[٣] كما يدل عليه السياق البعدي عند قوله تعالى:﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾.

وعلة الأمر الإنجازي:(يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) فيها إغراء لأبيهم على ما أرادوه عليه، فهو بإجابته لطلبهم يحقق أمرين: أولا: ردّ اعتبارهم عنده بدفع الشكوك التي ساورت أبيهم من جهة اتهامه لهم بما يبينه السياق القبلي﴿مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١﴾. وثانيا: إتاحة الفرصة لأخيهم حتى يأخذ حظه مما يأخذه الصبيان أمثاله من الانطلاق إلى الخلاء، لاهيًا لاعبًا في رعاية من يحفظه، ويدفع عنه كل مكروه[٤]. وقد تكون علة الأمر الإنجازي جوابًا لقوله:﴿قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ﴾ كأنه قالوا له: لا تحزن عليه فإنه يرتع ويلعب، على التقديم والتأخير، فأمنوه لما خاف عليه الجوع بقولهم:(يَرْتَعْ) وخاف أن يكلفوه أمرًا شاقًا فأمنوه على ذلك بقولهم:(وَيَلْعَبْ) لأنه ليس في اللعب مشقة ولا شدة[٥].

كما أضاف إخوة يوسف إلى الوسائل الإقناعية جملة إنجازية أخرى تتمثل في إخبارهم ووعدهم لأبيهم بحفظ يوسف وحمايته بقولهم:﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ وهي حال من فعل الأمر الإنجازي، أي والحال إنا لنخُصَّه بالحفظ ونجتهد غاية

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٤٨٦(ر ت ع) .
(٢) ينظر: لسان العرب ٨/ ١١٢(ر ت ع)، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء ٢٨٨/٤.
(٣) ينظر: تفسير القرآن الحكيم لمحمد رشيد رضا ١٢/ ٢١٨.
(٤) ينظر: التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب ٦/ ١٢٤١ وما بعدها.
(٥) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي ٦/ ٢١٣.

الاجتهاد، أكدوا هذه الدعوى بالجملة الاسمِية المصدرة بـ(إنَّ) وتقديم(لَهُ) على خبرها واقترانه باللام؛ للدلالة على عظيم حفظهم، فالجملة بمنزلة القصر الِادّعائيّ، فجعلوا أنفسَهم لفرط عنايتهم به بمنزلة من لا يحفظ غَيْرَه(١).

فالإخوة(المخاطِبون) سلكوا عدة إستراتيجيات لتنفيذ مخطط فعل الأمر السابق، وهو الإلقاء في الجب، فبدأوا بالسؤال الذي يحمل في طياته الاستنكار الخفي والعتب الرقيق﴿يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ وتصدر الآية باللفظ المناسب وهو نداء الأبوة (المخاطَب) الجامع لهم للوصول إلى غرضهم من تغييب يوسف وإبعاده، وهذا النداء به نوع من الاستمالة العاطفيّة، ومن شأنه أن يحرك مشاعر الحب التي فطر عليها الآباء نحو أبنائهم وتذكيرًا بسلسلة النسب ورابطة الأخوة، فالأصل أن الإخوة يتقوى بعضهم ببعض فكيف لا يأمنهم عليه، ثم سلكوا إستراتيجية أخرى للتأثير على نفس أبيهم، فحاولوا استدراجه ليستنزلوه عن رأيه بقوة الفعلين اللغويين(يرتع، ويلعب) وما لهما من تأثير سلوكي ونفسي، فعليه أن يرسل أخاهم– الذي اعتاد أبوه أن يمسكه عنده كما يدل عليه نقيض الإرسال– معهم، فهو في حاجة إلى الرتوع والمرح واللعب حتى ينشرح صدره للحياة كباقي من في عمره، فعليك ألا تغلق عليه حتى ينفتح علي الحياة، فهو في رحلة آمنه ننصحه ونحفظه ونعلمه من شؤون الحياة، وفي ذات الوقت يأخذ من الحياة متعتها، وهكذا استطاع الإخوة بهذه الإستراتيجية وحديثهم اللطيف الماكر مخادعة أبيهم ليفرقوا بينه وبين ابنه يوسف.

المشهد الرابع: إكرام يوسف (المنحة بعد المحنة)

٤–قوله تعالى﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾.

المناسبة السياقية: السياق في قصة يوسف مترابط، فبعد مرحلتى ظهور

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٢٩/١٢، وتفسير القرآن الحكيم لمحمد رشيد رضا ١٢/ ٢١٨.

الحسد والتآمر على يوسف، وبعد مرحلة تنفيذ المخطط وخداع الإخوة لأبيهم لإلقاء يوسف في الجب كما قال تعالى:﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ﴾ بدأت بعد ذلك مرحلة تمهيدية لكشف المحنة عن يوسف﴿وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ﴾ قيل: هو رجل اسمه: مالك بْنُ ذُعْرٍ الخُزعي﴿فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ﴾ في البئر فتعلق يوسف بالدلو ليخرج عندئذ لهج الوارد فـ﴿قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٩ وَشَرَوۡهُ﴾ يعني من إخوة يوسف الذين ألقوا أخاهم في غيابة الجب، فلما أخرجته السيارة ادعي إخوة يوسف أنه عبد أبق منهم، وعليهم إن أرادوا يوسف أن يشتروه منهم، فشروه منهم﴿بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠﴾ إنها محنة أخرى ليوسف محنة الاسترقاق، وهنا تطوى الأحداث على عجل لترسم الآيات مشهدًا آخر من مشاهد هذه القصة، حيث ينتقل المشهد في سرعة خاطفة إلى حيث يوسف في مصر، وإذ بمالك بن ذُعْر يعرض يوسف للبيع في السوق حتي اشتراه عزيز مصر الذي كان على خزائنها، والملك يومئذ الرَّيَّان بن الوليد، رجل من العماليق، وقد ذكر ابن عباس ان اسم عزيز مصر: قِطْفِير، وقيل: إِطْفِير، فذلك قوله تعالى:﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ﴾[1].

التحليل التداولي للإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية في الآية: قوله:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ﴾ الواو عطف على محذوف، أي : دخلوا مصر وعرضوه للبيع فاشتراه عزيز مصر[2]، وهذا الحذف له دور في التأثير في المستمع والقارئ بالمسارعة إلي الحدث الأهم وهو إكرام يوسف، وقوله:﴿لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ﴾ اسْمُها رَاعِيل، وقيل: زُلَيْخَا، وقيل: الأول اسمُها، والثاني

(١) ينظر: تفسير القرآن لابن كثير ٣٧٨/٤، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ١٢٤٧/٦.

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش ٤/ ٤٦٨.

لقبُها[١]، واللام من صلة القول، فهي للتبليغ أي: قال لامرأته، وليست متعلقة بـ﴿ٱشۡتَرَىٰهُ﴾، وتخصيصها بإكرام يوسف دون غيرها من الخدم مثلًا؛ للدلالة علي أنه ينظر إليه على سبيل التعظيم والإجلال، وقيل: يتنازعه كلا الفعلين، فيكون شتراه لِيَهَبَه لها لتتَّخذه ولدًا. وهذا يقتضي أنهما لم يكن لهما ولد[٢].

وقد أمر العزيز (المخاطِب) امرأته(المخاطَبة) بالفعل الإنجازي:﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾، وهذا يدل على عظم شأن يوسف عنده وتفرّس الخير فيه؛ إذ" الْكَافُ وَالرَّاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ لَهُ بَابَانِ: أَحَدُهُمَا شَرَفٌ فِي الشَّيْءِ فِي نَفْسِهِ، أَوْ شَرَفٌ فِي خُلُقٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ. يُقَالُ: رَجُلٌ كَرِيمٌ، وَفَرَسٌ كَرِيمٌ، وَنَبَاتٌ كَرِيمٌ "[٣]. بل الإكرام يدل أيضًا على التدلل والرقة، يقول أستاذنا الدكتور جبل عن تركيب(ك ر م)" المعنى المحوري رِقّة الشيء المتجمِّع ونقاؤه أو صفاؤه، مع قبول النفس له...﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ كناية عن الإحسان إليه في مأكل ومشرب وملبس"[٤].

والأمر في﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ يدل على تمسكه وارتباطه بيوسف؛ إذ الثَّواءُ: طُولُ المُقام، وأَثْوَيْت بِهِ: أَطلت الإقامة بِهِ[٥]. والْمَثْوَى: حقيقته موضع الإقامة والمحل الذي يثوي إليه المرء، أي يرجع إليه. والمراد من إكرام مثواه إكرامه نفسه، ولكن جاء التعبير أعمق، فجعل الإكرام لا لشخصه فقط، ولكن لمكان إقامته علي سبيل الاتساع، وفيها مبالغة على أبلغ وجه؛ لأن من أكرم المحل بتنظيفه وتهيئته تهيئة حسنة ونحوه فقد أكرم صاحبه بسائر ما يكرم به،

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٤/ ٢٦٢.

(٢) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط للواحدي ١٢/ ٥٩، واللباب في علوم الكتاب ١١/ ٥٢، والتحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ١٢/ ٢٤٥.

(٣) مقاييس اللغة ٥/ ١٧١ وما بعدها (ك ر م).

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن، د/ محمد حسن جبل ٤/ ١٨٨٦(ك ر م).

(٥) ينظر: العين للخليل ٨/ ٢٥٢(ث و ى)، ولسان العرب لابن منظور ١٤/ ١٢٥(ث و ا).

أي: اجعلي إقامته عندك كريمة، أي كاملة في نوعها، بحيث يكون كواحد منهم، ولا يكون كالعبيد والخدم[١]. وقد يكون المثوى مقحم كما يقال المقام السامي والمجلس العالي، قال الرازي:" قال المحققون: أمر العزيزُ امرأته بإكرام مثواه دون إكرام نفسه، يدل على أنه كان ينظر إليه على سبيل الإجلال والتعظيم، وهو كما يقال: سلام الله على المجلس العالي"[٢].

وقوله:﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ...﴾ بيان لعلة الأمر الإنجازي، حيث إنه لما كانت نفس امرأة العزيز تتطلع إلى معرفة علة هذا الأمر الذي قد يبدو غريبًا جاء بالعلة، فكأن امرأة العزيز قالت: ما سبب إيصائك لي بهذا دون غيره؟ استأنف فقال:﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَا﴾ فنصيب منه خيرًا، قيل: في ثمنه إن بعناه، وقيل: بالقيام ببعض شئوننا الخاصة أو شئون الدولة العامّة لما يلوح عليه من مخايل الذكاء والنباهة، والعلة الثانية:﴿أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ﴾ أي نتبنَّاه بعد عتقه فيكون لنا قُرَّةَ عين ووارثًا لمجدنا ومالنا، ويفهم من هذا الرجاء أن العزيز لم يكن له ولد وما كان يرجو أن يكون له[٣]. قال ابن عباس:" كان حَصُورًا لا يُولد له"[٤].

وهكذا استخدم عزيز مصر(المخاطِب) إستراتيجية ترغيبية تؤثر في نفس امرأته (المخاطَبة) وتقنعها بضرورة الامتثال لفعل الأمر الإنجازي من خلال عرض علة هذا الأمر بغرض تحبيب امرأته وامتثالها لهذا لأمر واستنهاض همتها نحو تنفيذه.

المشهد الخامس: مراودة امرأة العزيز يوسفَ ومكرها به(محنة أخرى)

٥- قوله تعالى:﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ

(١) ينظر: ينظر: محاسن التأويل للقاسمي ٦/ ١٦٣، والتحرير والتنوير ١٢/ ٢٤٦.

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ١٨/ ٤٣٥.

(٣) ينظر: النكت والعيون للماوردي ٣/٢٠، وتفسير القرآن الحكيم لمحمد رشيد رضا ١٢/ ٢٢٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/١٦٠.

ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾.

المناسبة السياقية: يستكمل السياق القرآني ما حدث بعد أن أمر عزيز مصر امرأته–خاصة– بإكرام مثوى يوسف، وعلي حسب ما فهمت المرأة من هذا الأمر فيما يقتضيه نوع اللام في﴿لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ﴾ وتعلقها بقال لمجرد التبليغ والقول فقط، أم أنها تتعلق بالفعل﴿ٱشۡتَرَىٰهُ﴾ يعني لأجلها ولكن لتتخذه ولدًا لا لشيء آخر كالمراودة، وظل يوسف يتربى في هذا البيت، لينتقل السياق نقلة سريعة نوعية ليخبرنا عن أمر مراودة امرأة العزيز ليوسف، ويبدو أن هذا كان له مقدمات من تلك المرأة لكن السياق القرآني عادة ما يقف عند المواطن الحاسمة، وقد قوبل هذا من يوسف بالرفض ومراقبة الله والإحسان إلي العزيز الذي تربى في بيته، ولكن المرأة ضربت بكل هذا عرض الحائط فهي تراه فتاها ومملوكها يحق لها مراودته كما هو واضح من النص القرآني الذي لا يحتاج إلى شرح﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾ يوسف ليهرب ويخرج، وهي لتمنعه﴿وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ﴾ ألفيا: أي وجدا زوج المرآة (عزيز مصر) عند الباب، فسارعت﴿قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ بالحق ومقارنة الوقائع والأحداث﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ﴾ عزيز مصر لما عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف، وقيل: إن هذا من قول الشاهد[1] ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾﴾.

(١) ينظر: معالم التنزيل للبغوي ٢/ ٤٨٨.

التحليل التداولي للإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية في الآية: وبعد هذه الواقعة أقبل عزيز مصر (زوج المرأة)–على ما عليه جماعة من المفسرين، وقال ابن عباس: إنه ابن عمها وهو الشاهد– على يوسف آمرًا له بكتمان ما وقع فقال:﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ﴾ أي: يا يوسف، حذف منه حرف النداء؛ لأنه منادى قريب مفاطن للحديث، وفي ندائه باسمه إشارة إلى تقريبه وملاطفته ومحبته إلى نفسه(١). وقيل: بل إنه يحذّره– وإن ظهرت براءته عنده– من أن يحوم حول هذا الحمى(٢).

وقوله:﴿أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ﴾ أي امتنع عن هذا الأمر، ولا تخض فيه، وأعطه ظهرك كأنه لم يحدث، يقول ابن فارس:" الْعَيْنُ وَالرَّاءُ وَالضَّادُ بِنَاءٌ تَكْثُرُ فُرُوعُهُ، وَهِيَ مَعَ كَثْرَتِهَا تَرْجِعُ إِلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الْعَرْضُ الَّذِي يُخَالِفُ الطُّولَ... وَأَعْرَضْتُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ. وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْنَاهُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَا وَلَّاهُ عَرْضَهُ"(٣). فكلُّ "مانع منعك من شُغل وغيره من الأمراض فهو عارض"(٤). فـ﴿أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ﴾ أي: اكتمه ولا تتحدث به حتى لا يشيع، فتهتك سترها، وأفتضح فيحصل العار العظيم بسببها، قال قتادة: على وجه التسلية له في ارتفاع الإثم. وقيل: معناه لا تكترث به فقد بان عُذْرُك وبراءتُك وظهر صدقك وطهارة ثوبك(٥).ويحتمل أعرض عن قولك:﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ﴾ قاله ابن زيد على وجه التصديق له في البراءة من الذنب. ويشبه أن المراد الطلب على أتم وجه فيكون عن جميع ما كان بينهما(٦).

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري ٢/ ٤٦١، وزاد المسير ٢/ ٤٣٤.

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ٦/ ١٢٦١ وما بعدها.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس ٤/ ٢٦٩ (ع ر ض).

(٤) تهذيب اللغة للأزهري ١/ ٢٨٩ (ع ض ر).

(٥) ينظر: النكت والعيون للماوردي ٢٩/٣، ومعالم التنزيل للبغوي ٢/ ٤٨٨.

(٦) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي ٦/ ٢٣٠، والنكت والعيون للماوردي ٣/ ٢٩.

ثم أقبل علي المرأة آمرًا لها بالفعل الإنجازي فقال:﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ﴾ الذي صدر عنك وثبت عليك، وهو خيانة الزوج ومراودة يوسف، ثم الكذب عليه وبهتانه بعد أن استعصم، واختلف في القائل، فقيل: من قول الشاهد، والمعنى: اطلبي من زوجك أن يسامحك لئلا يعاقبك، قاله ابن عباس. وقيل: من قول زوجها، فيكون المراد: توبي من ذنبكِ إلى الله فإنكِ قد أثمت، وأصل الغفْر:" السّتر والتغطية، وغفر الله ذنوبه: أي سترها ولم يَفْضَحه بهَا على رؤوس الملأ"[١]. وقال لها هذا؛ لأنهم وإن كانوا يعبدون الأصنام فإنما يعبدونها ليقربوهم إلى الله زلفى؛ بدليل أن يوسف قال:﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾. وقيل: الغالب أنها وثنية، تطلب المغفرة من وثنها الذي تعبده، أو من الكاهن الذي يقوم على خدمة هذا الوثن[٢].

وفي الاكتفاء بطلب الإعراض والاستغفار قولان: الأول: أن الله سلبه الغيرة لُطْفًا بيوسف حتى كُفِي بادرته وعفا عنها. الثاني: أنه لم يكن غَيُورًا وكان مُولعًا بها[٣]. ولذا قال ابن كثير عن هذا الزوج:" كان لَيِّنَ الْعَرِيكَة سَهْلًا"[٤].

ثم قال:﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ﴾ والجملة علة لفعل الأمر الإنجازي السابق من الأمر بالاستغفار، أي من جملة القوم المتعمدين للذنب أو من جنسهم، وفي العدول إلى:﴿ٱلۡخَٰطِـِٔينَ﴾ بدلًا من الخاطئات؛ لأنه لم يقصد به الخبر عن النساء، فقط بل قصد به الخبر عمن يفعل ذلك مطلقًا، فالخاطئون أعم؛ لأنه يطلق على الذكور والإناث بالتغليب[٥]. وفي هذا دلالة علي أنه أراد أن يخفف على نفسها وقع هذه التهمة التي واجهها بها، فلم يجعل تلك الخطيئة مقصورة على بنات

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٨/ ١١٢(غ ف ر) .

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة ٦/٢٣٠، والتفسير القرآني للقرآن ٦/ ١٢٦٢.

(٣) ينظر: النكت والعيون للماوردي ٣/ ٢٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/ ١٧٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٣٨٤.

(٥) ينظر: معالم التنزيل للبغوي ٢/ ٤٨٨، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧٥/٩.

جنسها وحدهن، بل يشاركهن الرجال فيها، وكل مُعرَّض لتلك النزوات فإذا كنت قد أخطأت فما أكثر الخاطئين قبل الخاطئات، فلا عليها أن تستغفر لذنبها هذا[1].

وهنا نجد أن المخاطِب– سواء أكان العزيز أم الشاهد– قد استخدم إستراتيجية مع المخاطَبين(يوسف والمرأة) تتناسب والموقف الذي حدث، وهو مراودة االمرأة ليوسف وعصمة يوسف من ذلك، ثم اتهامها له بالمراودة، حيث تكاتف الأمران الإنجازيان المعطوفان على بعضهما والصادران من المخاطِب إلى المخاطَبين مع اختلاف الشيء المأمورين به ليتحقق غرض عدم العودة إلى هذا الأمر، فتوجه المخاطِب ليوسف بخطاب الالتماس وللمرأة بخطاب العتاب لهذا الغرض، وفي هذا رد الاعتبار ليوسف كما يدل عليه السياق القبلي:﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ﴾.

المشهد السادس: مكر النسوة ببعض

٦– قوله تعالى:﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾.

المناسبة السياقية: بعد مراودة امرأة العزيز يوسف عن نفسه وظهور براءته ومحاولة كتمان الأمر إلا أنه شاع في المدينة، فتحدَّث صناديد النساء في المدينة يُنكرن على امرأة العزيز﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ قال ابن عباس: يريد نسوة من أشراف النساء، وصرحوا بإضافتها إلى العزيز﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ مبالغة في التشنيع والتقريع، وعبَّرت بالمضارع ﴿تُرَٰوِدُ﴾ الدال على أنه صار ذلك سجِيّة لها، تُخادِعُه دائمًا ﴿فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ تطلب من عبدها الفاحشة رغمًا عنه نازلة من افتراش العزيز إلى افتراشه، وفي التعبير بهذا من المذلة لها ما فيه، ثم نَبَّهن على

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ٦/ ١٢٦٢.

علة ديمومة المراودة وهي كونه قد شغفها حُبًّا[١] فتَّمَكّن الحب منها حتي أصبح لا شغل لها إلا ذلك، وأكدوا ذلك بـ(إنَّ) واللام وأصدروا الحكم عليها﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٣٠﴾.

التحليل التداولي للإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية في الآية: ثم بين السياق كيف أن امرأة العزيز الداهية قابلت مكر بنات جنسها وطبقتها بمكر أشد من مكرهن، حيث الفضيحة قد شاعت بسرعة في المجتمع الذي من طبقتها، ولابد من تدارك الأمر حتى لا تسوء العاقبة، وفى سرعة وتدبير﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ﴾ التعبير بالفاء يدل على أن كلام النسوة نقل إليها بسرعة[٢].

وقوله:﴿بِمَكۡرِهِنَّ﴾ عن قتادة: بحديثهن. وقال سفيان: بعملهن[٣]. وعن مقاتل: بقولهن[٤]، أي باغتيابهن وسوء مقالتهن[٥]. وقوله:﴿أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ﴾ " في الكلام حذف، أي أرسلت إليهن تدعوهن إلى وليمة لتوقعهن فيما وقعت فيه"[٦]. والتعبير بلفظ الإرسال فيه معنى المخادعة من امرأة العزيز؛ إذ الإرسال فيه معنى الترفق واللين فكأنها تدعوهن لإكرامهن والانبساط معهن والاستئناس بهن مخادعة منها، يقول الخليل:" الرَّسْل: الذي فيه استرسال ولين"[٧]. و"استَرْسَل إليه أَي انْبَسَطَ واستأنس...الاسْتِرْسَال:الِاسْتِئْنَاسُ والطمأْنينة إلى الإنسان والثِّقةُ به فيما

(١) ينظر: معالم التنزيل للبغوي ٢/ ٤٨٨، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٦/ ٢٦٦.
(٢) ينظر: نظم الدرر للبقاعي ١٠/ ٧٢.
(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٧/ ٢١٣٢.
(٤) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٢/ ٣٣١.
(٥) ينظر: روح المعاني للألوسي ٦/ ٤١٨.
(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/ ١٧٧.
(٧) كتاب العين للخليل ٧/ ٢٤١ (ر س ل).

يُحَدِّثه"[١].

وفي قوله:﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ فيه معنى التهيئة وتوفر الشيء بكثرة حتى قبل طلبه؛ لأنه حاضر موجود، وفي هذا دلالة على الإغداق والكفاية، يقول ابن فارس:" الْعَيْنُ وَالتَّاءُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى حُضُورٍ وَقُرْبٍ، قَالَ الْخَلِيلُ: تَقُولُ عَتُدَ الشَّيْءُ، وَهُوَ يَعْتُدُ عَتَادًا، فَهُوَ عَتِيدٌ: حَاضِرٌ... يَقُولُونَ هَذَا الْفَرَسُ عَتَدٌ، أَيْ مُعَدٌّ مَتَى شَاءَ صَاحِبُهُ رَكِبَهُ"[٢]. ويذكر أستاذنا الدكتور جبل أن المعنى المحوري لـ(ع ت د) يدل على" توفر الشيء في المتناوَل، أي كونُه حاضرًا كافيًا مُهَيّأ"[٣].

وفي(المُتْكَأ) قولان: أحدهما: أنه المجلس، أي: مكانًا يتكئن فيه، وهو الآلات التي يُتَّكَأُ عليها، قاله الحسن. قال أبو عبيدة والسدي: هو النمارق والوسائد يتكأ عليها. والِاتِّكاء يكون إذا أريد إطالة المكث والاستراحة. الثاني: أنه الطعام، قاله ابن عباس، قال الأزهري: إنما قيل للطعام: متكأ؛ لأن القوم إذا قعدوا على الطعام اتكؤوا. يعني على الوسائد، فسمَّى الطَّعَامَ مُتكأً على الاستعارة، يُقال: اتَّكَأنا عند فلان، أي: طَعِمْنا[٤]. وقوله:﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ أي آلة لقطع ما قدمته لهم من الثمار أو غيره، "وقالت لهن: لا تقطعن ولا تأكلن حتى أُعلمكن"[٥]، ثم أمرت يوسف بفجاءة الخروج بعد أن أمرته بالتزين والترجل وألبسته ثيابًا بيضاء ليزداد جمالًا﴿ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ قال الزجاج: لم يكن يتهيأ له أن لا يخرج؛ لأنه بمنزلة العبد لها. وقيل: ما قدر على مخالفتها خوفًا

(١) لسان العرب لابن منظور ١١/ ٢٨٣ (ر س ل).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤/ ٢١٦ وما بعدها (ع ت د).

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن، د: محمد حسن جبل ٣/ ١٤٠١(ع ت د).

(٤) ينظر: تهذيب اللغة ١٠/ ١٨٢(ت ك أ)، والكشف والبيان ٢١٧/٥، والنكت والعيون ٣١/٣.

(٥) زاد المسير لابن الجوزي ٢/ ٤٣٥.

منها[١]. وقيل أنها قالت له:﴿ٱخۡرُجۡ﴾ وأضمرت في نفسها﴿عَلَيۡهِنَّۖ﴾ فأخبر الحق عما في النفس كأن اللسان نطق به[٢].

والأمر الإنجازي بالخروج فيه معنى الاندفاع فجأة؛ إذ المعنى المحوري لـ(خ ر ج) يدل على" نفاذ من الحيّز أو الأثناء بتجمع: كالوَرَم من الجسم... وسائر ما في القرآن من مفردات التركيب فهو من معنى نفاذ الشيء من أثناء كانت تحوطه"[٣]. ومما يدل على تحقق الفجاءة العدول من التعبير بالدخول الذي يدل على الْوُلُوج إلى التعبير بالخروج، فقوله:﴿ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ﴾ يقتضي أنه كان في مخدع في داخل حُجرة الطعام التي كن فيها مَحْجُوبًا عنهن، ولو كان في مكان خارج عنها لقالت: ادخل عليهن، فَعُلم من هذا أنها تعمدت أن يفجأهن وهن مشغولات بما يَقْطَعنه ويأكلنه، عالمة بما يكون لهذه الفُجاءة من تأثير الدهشة[٤].

وقوله:﴿فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ﴾ عطفٌ على مقدر يستدعيه الأمر بالخروج وينسحب عليه الكلام، أي فخرج عليهن فرأينه، وإنما حذف لتحقيق سرعة مفاجأة رؤيتِهن كأنها تفوت عند ذكر خروجه عليهن[٥]. وقوله:﴿أَكۡبَرۡنَهُۥ﴾ أي: أعظمنه وهالهن أمره وأجللنه وبُهِتن، هذا قول الجمهور، وفي رواية عن ابن عباس: أكبرنه: أي حِضْن[٦]. فعلى الرأي الأول يكون الضمير(الهاء) ليوسف، وعلى الثاني يكون

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج ١٠٦/٣، ومفاتيح الغيب للرازي ٤٤٨/١٨.

(٢) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي ٤٣٥/٢.

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن، د/ محمد حسن جبل ١/ ٥٤٥(خ ر ج).

(٤) ينظر: تفسير القرآن الحكيم لمحمد رشيد رضا ١٢/ ٢٤١.

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٤/ ٢٧١ وما بعدها.

(٦) أنكر أكثر أهل اللغة هذا القول. قال الزجاج: هذه اللفظة ليست معروفة في اللغة، والهاء في أكبرنه تمنع من هذا؛ لأنه لا يجوز أن يقال النساء قد حضنه؛ لأن حضن لا يتعدى إلى مفعول، وقد زعم بعض الرواة أن بعض الناس أنشده في(أكبرن) بمعنى حضن بيتًا، =

للحيض، كناية على المصدر[١]. وقوله:﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ التضعيف في الطاء للدلالة على كثرة الحز وتكراره، واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقيل: معناه أنهن حززن بالسكين في أيديهن، وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترُجّ، فليس قطعًا فاصلًا، وإنما حزّ وخدش. وقال آخرون: أنهن قطعن أيديهن حتى أبنَّها وهن لا يشعرن، والمعنى الأول أسرع تبادرًا إلى الذهن، والتخديش أولى؛ لأنه ربما خفي على الإنسان ساعه، وليس القطع كذلك[٢].

وقوله:﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ تصوير يبين أثر الصدمة الشديد، فهم من الذهول لا يفيقون مما هم فيه، بل ألسنتهم جميعًا تتفوه في صوت واحد بهذه العبارة، ومعناها عند كثير من المفسرين: معاذ الله ما هذا بشرًا، وأما على مذهب المحققين من أهل اللغة، فحاش مشتقة من قولك: كنْت في حشا فُلانٍ، أي في ناحية فلانٍ، والمعنى بَرّأَهُ الله من هذا وبرأه﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ أي من حُسنه﴿إِنْ هَٰذَآ

=

وهو مصنوع مختلق لا أصل له؛ لأنه ليس بالمعروف عند الرواة، كذلك قال كثير من المحققين، والبيت: نَأْتِي النِّسَاءَ عَلَى أَطْهَارِهِنَّ وَلا ... نَأْتِي النِّسَاءَ إِذَا أَكْبَرْنَ إِكْبَارَا

وزعم أن معناه: إذا حضن. قال الأزهري: إن صحت هذه اللفظة فلها مخرج، وذلك أن المرأة إذا حاضت أول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغار إلى حد الكبار، فيقال لها: أكبرت، أي حاضت، فإن صحت الرواية عن ابن عباس سلمنا له، وجعلنا الهاء في أكبرنه هاء الوقف لا الكناية، وقيل: إن المرأة إذا فزعت فربما أسقطت ولدها وتحيض فإن كان ثَمّ حيض فربما كان من فزعهن وما هالهن من أمر يوسف حين رأينه، قال الرازي: وعندي أنه يحتمل وجهًا آخر وهو أنهن أكبرنه لأنهن رأين عليه نور النبوة، وكان ذلك الجمال العظيم مقرونًا بتلك الهيبة والهيئة فتعجبن من تلك الحالة فلا جرم أكبرنه وأعظمنه وهبنه.وحمل الآية على هذا الوجه أولى. ينظر: جامع البيان ١٦/ ٧٧، ومعاني القرآن للزجاج ١٠٦/٣، وتهذيب اللغة١٢٠/١٠(ك ب ر)ومفاتيح الغيب ٤٤٩/١٨.

(١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٣٥٥٢/٥.

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري ٧٧/١٦ وما بعدها.

إِلَّا مَلَـكٌ كَـرِيمٌ﴾[١]. ويظهر هنا استخدام امرأة العزيز(المخاطِبة) لتقنية القوة والمخادعة المتمثلة في مقدرة هذه المرأة المخابراتية فبمجرد وصول الخبر إلى النسوة ومكر بنات طبقتها بها علمت فور ذلك، ولم تقف هذه المرأة المتحكمة من هذا الحدث موقف المتفرج المتأثر الذي تفيض عيناه بالدموع، بل هى صانعة قرار تتخذ موقفًا تجاه هذا الشأن، فأرسلت إلى هؤلاء النسوة وأعتدت لهن فخ المتكأ والسكين، ثم استخدمت الإستراتيجية الخطابية المتمثلة في فعل الأمر الإنجازي بخروج يوسف(المخاطَب) في الوقت واللحظة المناسبة ليكتمل غرضها بالمخادعة لكسر شوكة النسوة اللائي عيّرنها؛ ليقعن فيما وقعت فيه؛ لتضمن عدم تحدثهن مرة أخرى في هذا الشأن.

المشهد السابع: قصة تأويل يوسف لرؤيا رفقائه في السجن

٧- قوله تعالى:﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦... وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ٤٢﴾.

المناسبة السياقية: وبعد مراودة زليخا ليوسف، ومحاولة كتمان ذلك، وشيوع ذلك في المدينة، ومكر النسوة بها ومكرها بهن، وتحقق الشواهد الدالة على براءة يوسف في كل موقف، بدا لهم أنه مِن المصلحة سجنه كما قال تعالى:﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥﴾. وذكر المفسرون أن ملك مصر عُمِّر طويلًا فملُّوه، فدسُّوا إليه فتيين أن يُسِمّوه، أحدهما: خبَّازه- واسمه مِجْلَث- والثاني: صاحب شرابه- واسمه نَبْوُ- ورُفِعَ إليه أن الأول يريد أن يَسُمَّهُ، وظن أن الآخر يُساعِدُه عليه فأمر بحبسهما[٢]. فذلك قوله تعالى:﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ﴾.

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٠٧، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٧/ ٢١٣٧.
(٢) ينظر: تفسير القرآن لابن أبي حاتم ٢١٤١/٧ وما بعدها، ومفاتيح الغيب ٤٥٣/١٨.

التحليل التداولي للإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية في الآية: قوله:﴿وَدَخَلَ مَعَهُ﴾ يحتمل أن تدل المعية على الصحبة واقتران وقت الدخول وأنهم سجنوا الثلاثة في ساعة واحدة. ويحتمل أن يكونوا دخلوا أفذاذًا(١). ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾ المراد به الساقي، وقد علما من أهل السجن أنه يفسر الرؤى﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ﴾ يعني في النوم﴿أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ أي عنبًا ليصير خمرًا﴿وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ﴾ الخباز ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾ رأيت أني خرجت من مطبخ الملك أحمل فوق رأسي ثلاث سلال من خبز، فوقع طير على أعلاهن فأكل منها، ثم طلب الفتيان (المخاطِبان) من يوسف(المخاطَب) أمرًا على سبيل الإنجاز، حيث قالا:﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ﴾ أَيْ جَمِيعًا أو قاله كل واحد منهما علي حدة، والمعني كما قال ابن عباس: أخبرنا بتفسيره، قال الخليل:" النبأ، مهموز: الخبر"(٢).

والأمر الإنجازي الصادر من الفتيين له تأثير نفسي على يوسف؛ إذ يشعره بخطورة الأمر وأهميته ليحثه ويقنعه بالإنجاز في تنفيذ الأمر؛ فالأمر هنا يحمل عدة دلالات إضافية، فالنبأ يدل على الخبر الخفي الذي لا يتوقع حدوثه؛ إذ رد أستاذنا الدكتور جبل المعنى المحوري لتركيب(ن ب أ) إلى" ظهور أو طروء مسبوق أو مكنوف بخفاءٍ ما... وكذلك التعبير بهَجَمَ في تفسير:(نبأ عليهم) معناه أنه لم يكن متوقَّعًا، وهذا خفاؤه... ومن ذلك: النبَأُ: الخبر، وينبغي أن يقيَّد بالخفي، أي الذي كان خفيًّا حسب الأصل الذي ذكرناه"(٣). وقد جاء في الفروق لأبي هلال ما يؤيد هذا، فقد قال: " النبأ لا يكون إلا للإخبار بما لا يعلمه المخبَر... وفي القرآن﴿فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٦﴾[الشعراء] وإنما استهزءوا به؛ لأنهم لم يعلموا حقيقته ولو علموا ذلك لتوقوه، يعني

(١)ينظر: معاني القرآن للزجاج ١٠٩/٣، والمحرر الوجيز ٢٤٣/٣، والبحر المحيط ٢٧٥/٦.
(٢) العين للخليل ٨/ ٣٨٢(ن ب أ).
(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن، د/ محمد حسن جبل ٤/ ٢١٤٦ (ن ب أ).

العذاب"[١]. كما أن النبأ: الخبر الذي له شأن عظيم، كما قال تعالى:﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ فوصفه بالعظمة، وقال الراغب: النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء[٢]. وعلى هذا فهم أرادوا من يوسف الاستقصاء في تأويل الرؤيا؛ لأن تأويل الشيء: هو الإخبار عن العواقب وما يئول إليه آخر ذلك الأمر[٣]. والضمير في قوله:﴿بِتَأۡوِيلِهِۦٓ﴾ يعود إلى ما قصا عليه. وقوله:﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ تعليل لفعل الأمر الإنجازي﴿نَبِّئۡنَا﴾ وفيه التماس وإغراء ليوسف؛ إذ توسم الفتيان فيه كمال الفهم ورجاحة العقل، ففي علة فعل الأمر محاولة لاستعطاف يوسف والتأثير فيه لسرعة تنفيذ وإنجاز الأمر المطلوب، وفي إحسانه أقوال ذكرها العلماء[٤].

وبعد أن طلب صاحبا السجن من يوسف تأويل رؤياهما لم يجبهما مباشرة، بل قدم لتأويل لذلك بكلام، فبين علوّ مرتبته في علم تأويل الرؤى وأنه ليس من المعبرين بالظن والتخمين وأنه لا يأتيهما طعام إلا نبأهما عنه قبل مجيئه إليهما، وهذا مما علمه الله إياه[٥]. ثم فسّر يوسف رؤييهما فقال:﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ

(١) معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري صـ ٥٢٨.

(٢) ينظر: معجم الفروق اللغوية صـ ٥٢٩، والمفردات في غريب القرآن صـ ٧٨٨.

(٣) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي ٦/ ٢٣٩، ومفاتيح الغيب للرازي ١٨/ ٤٥٤.

(٤) أحدها: نراك تؤثر الإحسان، فقد كان يجتهد في العبادة لربه، ويدعو أهل السجن إلي توحيد الله وعبادته وترك عبادة الأصنام والأوثان، وكان يبرّهم ويعود المرضى ويداويهم ويعزّي الحزين، قاله ابن عباس. والثاني: إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ إلينا إن أنبأتنا بتأويل رؤيانا، قاله ابن إسحاق. والثالث: إنا نراك من الْعالِمِينَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْعِلْمَ، أي علم تأويل الرؤيا، فحذف مفعول الإحسان قاله الفراء. ينظر: التفسير البسيط ١١٥/١٢ وما بعدها، وزاد المسير ٢/ ٤٣٩ وما بعدها.

(٥) ينظر: غرائب القرآن للنيسابوري ٤/ ٨٨ .

أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾ أي يسقي الملك الخمر، يعني أن الساقي سيخرج من السجن ويعفو عنه الملك ويرجع كما كان﴿وَأَمَّا ٱلْآخَرُ﴾ وهو الخبَّاز﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾، ثم توجه يوسف خفية إلي ساقي الملك لئلا يعلم الآخر أنه الذي سيصلب﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي﴾ فعل الأمر هو مقول القول، وفعل الأمر الإنجازي﴿ٱذْكُرْنِي﴾ يدل على معنى الذكر بالخير ذكرًا قويًا ذا شأن؛ إذ الذكر:" العَلَاءُ وَالشَّرَفُ، وَهُوَ قِيَاسُ الْأَصْلِ"(١). ويرد الدكتور جبل المعنى المحوري لتركيب(ذ ك ر) إلى" قوة الشيء وصلابة مادته بحيث ينفذ... من ذلك: الذِكْر، بالكسر: الصيت في الخَيْر، وهو به أنسب؛ لأن شهرة اسم شخص أو عمله وجود قوي له، ونفاذ وانتشار أيضًا... يتبعه وجوده في الأسماع والقلوب"(٢).

والمراد بقوله:﴿ٱذْكُرْنِي﴾ أي بما شاهدته مما أنا عليه من الحال والصفة، فيحتمل أن يريد أن يذكره بعلمه ومكانته، وهذا يشمل ما شاهده منه من دعوته إياهم إلى التوحيد، وتأويله للرؤيا، والإطّلاع على شيء من علم الغيب، وإنبائهم بكل ما يأتيهم من طعام وغيره قبل إتيانه. ويحتمل: أن يذكره بمظلمته من جهة إخوته لما أخرجوه وباعوه، ومن جهة الواقعة التي لأجلها حُبِس بلا ذنب، ويحتمل أن يذكره به لعله حبس بلا علم منه وبغير أمره، ويحتمل أن يذكره بالجملة﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ سيّدك الملك وذلك معروف في اللغة أن يقال للسيد رَبّ(٣).

﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ الضمير في(فَأَنسَىٰهُ) فيه قولان: أحدهما: أنه عائد إلى يوسف، أي أنساهُ الشيطانُ ذكر الله، فنسي في ذلك الوقت أن يشكو إلى الله ويستغيث به، وجنح إلى الاعتصام بمخلوق، فعوقب باللبث. وقيل: الهاء تعود على الناجي (الساقي)، أي أنسى الشيطان السَّاقي أن يَذكر يوسف لربه، أي

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٣٥٩ (ذ ك ر).

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن، د/ محمد حسن جبل ٢/ ٧١٨ (ذ ك ر).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب ٤٦١/١٨، والجواهر الحسان للثعالبي ٣/ ٣٢٨.

لسيده[١]. وهو الصواب كما قال مجاهد، ومحمد بن إسحاق وغير واحد[٢].

المشهد الثامن: رؤيا ملك مصر وتأويل يوسف لها بالقول والفعل

٨- قوله تعالى:﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾... وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

المناسبة السياقية: السياق القرآني يحكي قصة خلاص يوسف من السجن، فبعد أن نسي الذي نجا من الفتيين ذكر يوسف للملك أراد الله-ﷻ-الفرج ليوسف، فرأى ملك مصر رؤيا عجيبة هالته، وذلك أنه رأى سبع بقرات سمان وسبعًا عجافًا، فابتلعت العجاف السمان فدخلت في بطونهن فلم ير منهن شيئًا، ورأى سبع سنبلات خُضر قد انعقد حبها وَسبعًا أُخر يابسات قد استحصدت، فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبت عليها، فاضطرب الملك لأنه رأى الناقص الضعيف استولى على الكامل القوي[٣]، فأحس بفطرته بأن هذه الرؤيا نذير شر عظيم يقع في المملكة، وما عرف تأويل ذلك، فجمع ملأه وقصها عليهم، فذلك قوله:﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ...﴾.

التحليل التداولي للإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية في الآية: قوله:﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ...﴾ عطف جزء من قصة على جزء منها، وهو ما

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي ٦/ ٢٤٤، والجامع لأحكام القرآن ٩/ ١٩٥ وما بعدها.

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي ٦/ ٢٤٤، والبحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٢٧٩.

(٣) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن للواحدي ٢/ ٦١٥.

حدث للسجينين من الرؤيا وتأويلها تكملة لوصف خلاص يوسف من السجن، والتعريف في﴿ٱلۡمَلِكُ﴾ للعهد، أي ملك مصر الريان بن الوليد[١]. وآثر التعبير بالمضارع في قوله:﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ﴾ مع أنه قد رأى بالفعل، لحكايةِ الحالِ الماضية واستحضارًا لصورة الرؤيا حتى لكأنها ماثلة أمامه الآن[٢]. وقوله:﴿سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ﴾ في غاية الضَّعْفِ والهُزَالِ﴿وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ﴾ عطف على﴿سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ﴾ فالتقسيم في البقرات يقتضي التقسيم في السنبلات، فيكون قد حذف اسم العدد من قوله: وأخر يابسات، لدلالة قسميه وما قبله عليه[٣].

والخطاب بصيغة﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ﴾ من الملك(المخاطِب) يوحي بأنه للأشراف من العلماء والحكماء، وقد يكون للكهنة والسحرة والمنجمين وغيرهم(مخاطَبون)، خاطبهم بذلك تشريفًا لهم، وحضًا على استعمال عقولهم وعلومهم في تفسير هذه الرؤيا التي أزعجته. وفعل الأمر الإنجازي بطلب الفتيا﴿أَفۡتُونِي﴾ يكون فيما عظم من الأمور وأشكل بيانه، ولذا عدل عن التعبير بـ(أخبروني) مثلًا، يقول الأزهري:" أصل الْإِفْتَاء والفُتْيا تَبْيِين الْمُشكل من الْأَحْكَام، أَصله من الفتيِّ، وَهُوَ الشَّاب الْحَدث الَّذِي شب وقَوِيَ فَكَأَنَّهُ يُقوِّي مَا أشكل ببيانه، فيشب وَيصير فَتِيًا قَوِيًا"[٤]. وفعل الأمر بطلب استفتائه للرؤيا لا يفيد معنى الاخبار المجرد، بل يكون على سبيل التوضيح والتفصيل؛ إذ أحد المعنيين المحوريين لتركيب الْفَاء وَالتَّاء وَالْحَرْف الْمُعْتَلّ "يَدُلُّ عَلَى تَبْيِينِ حُكْمٍ... يُقَالُ: أَفْتَى الْفَقِيهُ فِي الْمَسْأَلَة، إذا بَيَّنَ حُكْمَهَا"[٥]. والفُتْيا:" تبيين المشكل، فهو من المفارقة والتمييز، وفَضّ التباس

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٧٩/١٢ وما بعدها.
(٢) ينظر: التفسير الوسيط، د: محمد سيد طنطاوي ٧/ ٣٦٧.
(٣) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٢٨١.
(٤) تهذيب اللغة للأزهري ١٤/ ٢٣٤ (ف ت ا).
(٥) مقاييس اللغة ٤/ ٤٧٣ وما بعدها (ف ت ى) .

الأمر وتشابكه"[١].

وأضاف الرؤيا إلي نفسه فقال:﴿رُءۡيَـٰيَ﴾ ليضفي نوعًا من الرهبة والاختصاص في إيقاع مزلزل غاضب خاصة وأنها صادرة من الأعلى(الملك) إلي الأدنى(الملأ) بغرض استنهاض همتهم مبالغة في الاهتمام بشأن الرؤيا والامتثال لتنفيذ الأمر.

وعبر بالظرف المجازي﴿فِي﴾ التي هي بمعنى الملابسة، حتي لا يبعدوا بالجواب عن قصده أو يخرجوا عنه، أي: أفتوني إفتاءً مُلابِسًا لرؤياي ملابسة البيان للمجمل[٢].

وأكد هذا بتحذيرهم من الكلام بغير علم بقوله:﴿إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾ أتى بحرف الشك(إن) كأنه نهاهم أن يتكلفوا تعبير الرؤيا التي رآها إذا لم يكونوا من أهل تأويلها. والتعريف في﴿لِلرُّءۡيَا﴾ للجنس، وقيل: للعهد، والمعنى: إن كنتم تعبرون هذه الرؤيا[٣]. و﴿تَعۡبُرُونَ﴾ عَبَرَ الرُؤيا يَعْبُرُها عَبْرًا وعبارة وعبرها: فسرها وأخبر بما يؤول إليه أَمرُها، فهي مشتقة–كما قال الأزهري– من العِبْر، وَهُوَ جانبُ النَّهْرِ، وعَبَرْت النَّهر والطريق عُبُورًا إذا قطعته من هذا الجانب إلى ذلك الجانب، فقيل لعابر الرؤيا: عابر لأنه يتأمل ناحيتي الرؤيا فيتفكر في أطرافها ويتدبر كل شيء منها ويمضي بفكره فيها من أول ما رأى النائم إلى آخر ما رأى. وَتَقْدِيم﴿لِلرُّءۡيَا﴾ على عامله وهو﴿تَعۡبُرُونَ﴾ للرعاية الفاصلة مع الاهتمام بالرؤيا في التعبير[٤].

وقد جاء اعتراف ملأ الملك بالقصور مطابقًا لشك الملك في تعبيرهم للرؤيا

---

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن، د: محمد حسن جبل ٣/ ١٦٢١(ف ت ى).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١٢/ ٢٨١.

(٣) ينظر: السابق ١٢/ ٢٨١ وما بعدها.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة ٢٢٩/٢، ولسان العرب ٥٢٩/٤(ع ب ر)، والتحرير والتنوير ٢٨١/١٢.

حيث ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ عندئذ لهج الساقي:﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ٤٥﴾. قال الكلبي: لما سأل الملك عن رؤياه جثا الساقي بين يديه بعد انقضاء جواب الملأ، فقال للملك: إني قصصت أنا والخباز على رجل في السجن منامين فخبرنا بتأويلهما، فصدق في جميع ما وصف، فإن أذنت مضيت إليه وأتيتك من قبله بتفسير هذه الرؤيا[١].

ويبدو أن الناجي من الفتيين قد أخذ وقتًا طويلا في تذكر شأن يوسف كما يفيده الفعل(ادّكر)؛ إذ بلفظه وجرسه يدل على معالجة، ومعاناة، وعسر، وفي هذا إشارة إلى أنه قد عانى كثيرًا من التفكير حتى تذكر يوسف، وكذلك في كلمة(أمّة) التي تجمع مقاطع وكتلة متفرقة من الزمن، قال عطاء عن ابن عباس: بعد سنين، وقيل: بعد نسيان، قاله عكرمة[٢].

وقوله:﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾ النبأ– كما سبق– خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يكون إلا للإخبار بما لا يعلمه المخبر، ويطلق على ما فيه شأن عَظِيم؛ ولذا حقّ للخبر الذي يقال فيه نَبَأٌ أن يتعرّى عن الكذب[٣]. ثم عقبه بفعل الأمر الإنجازي بقوله:﴿فَأَرۡسِلُونِ﴾ استأذن في المضيِّ إلى يوسف، أي أطلقوني وابعثوني أمضي إليه لاسْتِعْبَره، ففيه إضمار، ولم يذكر لهم اسم المرسل إليه، وهو يوسف؛ لأنه أراد مفاجئتهم بخبره بعد حصول تأويله للرؤيا، فيكون ذلك أوقع في قلوبهم، وأسمى لشأن يوسف. وقيل: قال: ﴿فَأَرۡسِلُونِ﴾؛ لأن السجن لم يكن في المدينة، كما قال ابن عباس[٤].

وفعل الأمر بالإرسال الصادر من الناجي(المخاطِب) إلى الملك أو هو

(١) ينظر: الوسيط للواحدي ٢/ ٦١٥.

(٢) ينظر: النكت والعيون ٣/٤٣، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ٦/١٢٧٩.

(٣) ينظر: الفروق اللغوية لأبي هلال صـ ٥٢٩، والمفردات في غريب القرآن صـ ٧٨٨.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز ٣/٢٤٩، والتفسير الوسيط، د: محمد سيد طنطاوي ٧/٣٦٩.

وملأه(مخاطَبون) يوحي بالتلطف في خطاب الساقي مع الملك وأنه خادمه ويقف بجانبه؛ لأن الخطاب صادر من الأدنى إلى الأعلى، كما أن الإرسال يوحي بلفظه بذلك؛ إذ "الرَّسْل: السَّيْر السَّهْل... وَرَسِيلُ الرَّجُلِ: الَّذِي يَقِفُ مَعَهُ فِي نِضَالٍ أَوْ غَيْرِهِ، كَأَنَّهُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ إِرْسَالَهُ سَهْمَهُ يَكُونُ مَعَ إِرْسَالِ الْآخَرِ[١].

وقوله:﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ في الكلام محذوف مفهوم من السياق لا يتعلق بذكره فائدة، وذلك:"فأرسلوه، فأتى يوسف، فقال له: يا يوسف، يا أيها الصديق"[٢]. ولعل سبب حذف حرف النداء هو معاجلة الساقي بالخطاب ليوسف مباشرة دون الدخول في تفاصيل أخرى-كنسيانه ذكر يوسف للملك- ولهفته إلى إسعاف الملك وقومه بما يذهب حيرتهم، كما أن تصدر الآية باسم يوسف ووصفه بصفة الصديقية بسبب التأثير السلوكي والنفسي الذي أحدثه يوسف فيه هو والسجناء بعد أن ذاقوا أحواله وتعرفوا صدقه.

وعدل الساقي-هنا- إلى التعبير بفعل الأمر الإنجازي(أفتنا) بدلًا من(نبئنا) الذي قد عبر به هو والفتى الآخر(الخباز) في رؤياهما السابقة؛ لأنه قد عاين علو مرتبته في الفتيا، والأمر الإنجازي جاء بضمير الجمع﴿أَفْتِنَا﴾ مع أنه الساقي وحده هو المستفتي؛ " للإشعار بأن الرؤيا ليست له، بل لغيره ممن له شأن في أمور الناس، وأنه في حكايتها سفير لغيره"[٣]، ولذا ختم استفتاءه بعلة فعل الأمر الإنجازي بقوله: ﴿لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أي" لكي أرجع إلى الناس، وهو الملك وقومه، ويحتمل أن يريد الملك وحده فعبر عنه بالناس تعظيمًا له"[٤].﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أي: أن هذه الرؤيا حق، ولها حقيقة، ليس كما قالوا: أضغاث أحلام. وقيل: يعلمون مكانتك من العلم وفضلك على غيرك من الناس

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٣٩٢ (ر س ل).
(٢) جامع البيان للطبري ١٦/ ١٢٣.
(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمجموعة من العلماء ٤/ ٣٣٣.
(٤) النكت والعيون للماوردي ٣/ ٤٤.

فيكون ذلك سببًا في خلاصك[١]. وعلة فعل الأمر الإنجازي بالفتوى جاءت على أسلوب الترجي؛ إما جريًا على عادة العقلاء في عدم البتّ في الأمور المستقبلة، وإما للاحتراز، فليس على يقين من الرجوع إليهم، إذ من الجائز أن يَخْتَرِمَ دون بلوغه إليهم، وإما استعجالاً ليوسف بالإفتاء ليسرع في الرجوع [٢].

وقد أجاد الساقي في نقل ألفاظ الملك كما هي كاملة- بدون تعديل- ليوسف عند طلب تأويله للرؤيا، وهو ما أثبته السياق فقال:﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾؛ لإن" تعبير الرؤيا قد يختلف بسبب اختلاف اللفظ كما هو مذكور في ذلك العلم"[٣].

والسياق القرآني في التعبير عن جواب يوسف لفعل الأمر الإنجازي من الساقي قال:﴿قَالَ تَزْرَعُونَ﴾ وهى مستأنفة استئنافًا بيانيًّا لجواب يوسف، حيث لم يكتف يوسف بتأويل الرؤيا، بل جاء جوابه مؤولًا لها مع النصح والإشارة إلى ما ينبغي فعله الذي جاء بصيغة المضارع مرادًا به الأمر للدلالة على سرعة المأمور به" الذي بيَّنه في سياق هذا التدبير العمليِّ، وهذا ضَرْبٌ من بلاغة الأسلوب والإيجاز، ولا تجد له ضريبًا في غير القرآن، خاطب أولي الأمر بما لَقَّنه للساقي خطاب الآمر للمأمور الحاضر، فأوجب عليهم الشروع في زراعة القمح دائبين عليه دَأَبًا مستمِرًّا... سبع سنين بلا انقطاع"[٤]. ولفظ الزراعة يقتضي الاعتناء بالمزروع، يقول الخليل:" الله يَزْرَعُه، أي: ينميه حتى يبلغ غايته وتمامه"[٥]. وفي المقاييس:" الزَّاءُ وَالرَّاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَنْمِيَةِ الشَّيْءِ"[٦]. وذكر الزمخشري وغيره أن قوله:﴿تَزْرَعُونَ﴾ خبر في معنى الأمر، كقوله:

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي ٦/ ٢٤٩، والمحرر الوجيز لابن عطية ٣/ ٢٥٠.
(٢) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٢٨٥، ونظم الدرر للبقاعي ١٠/ ١١٢.
(٣) مفاتيح الغيب للرازي ١٨/ ٤٦٥.
(٤) تفسير القرآن الحكيم لمحمد رشيد رضا ١٢/ ٢٦٣.
(٥) كتاب العين للخليل ١/ ٣٥٣ (ز ر ع).
(٦) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣/ ٥٠ (ز ر ع).

﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ﴾ [الصف:١١] وإنما يخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في إيجاب إيجاد المأمور به، فيجعل كأنه وُجد فهو يُخْبر عنه، والدليل على كونه في معنى الأمر قوله:﴿فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ أي فكل ما حصدتم منه في كل زرعة فاتركوه، أي ادَّخروه في سنبله بطريقة تحفظه من السُّوس بعدم سريان الرطوبة إليه(١).

وقوله:﴿دَأَبٗا﴾ الدَّأب: العادة، أي: على عادتكم في الزراعة. وقيل: بجد واجتهاد، وقوله:﴿فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ أمرهم بترك الحنطة في السنبلة؛ لتكون أبقى على طول الزمان ولا تَفْسُد ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ﴾ أي: مما تَدْرُسُون قليلًا للأكل، أمرهم بحفظ الأكثر والأكل بقدر الحاجةِ(٢).

واستعمال فعل الأمر الإنجازي- فذروه- الصادر من يوسف(المخاطِب) للملك وملئه (المخاطَبون) ما يوحي بضرورة مراعاة وضع ما حصدوه في سنبله في الصوامع أو مكان التخزين بطريقة معينة هي اللطافة والانتشار؛ إذ المعنى المحوري لتركيب" الذَّال وَالرَّاء الْمُشَدَّدَة أَصْل وَاحِد يَدُلّ عَلَى لَطَافَةٍ وَانْتِشَارٍ"(٣). فـ" ذَر الشَّيْء يَذُرُّه ذَرًّا إذا فرّقه، وذر الْحبّ وذراه أَيْضًا إذا بذره فِي الأَرْض"(٤). وفي اللسان" ذَرَّ الشيءَ يَذُرُّه: أَخذه بأَطراف أَصابعه، ثُمَّ نَثَرَهُ عَلَى الشَّيْءِ، وذَرَّ الشيءَ يَذُرُّهُ إِذا بَدَّدَهُ... وذَرَرْتُ الحَبَّ وَالْمِلْحَ وَالدَّوَاءَ أَذُرُّه ذَرّاً: فرَّقته"(٥).

المشهد التاسع: طلب التحقق من البراءة

٩- قوله تعالى:﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠﴾.

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري ٢/ ٤٧٦، وتفسير القرآن الحكيم لمحمد رشيد رضا ٢٦٣/١٢.
(٢) ينظر: معالم التنزيل للبغوي ٢/ ٤٩٥.
(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٣٤٣ (ذ رّ).
(٤) جمهرة اللغة لابن دريد ١/ ١١٧ (ذ ر ر).
(٥) لسان العرب لابن منظور ٤/ ٣٠٣ (ذ ر ر) .

التحليل التداولي للإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية في الآية: في تضاعيف هذه الآية محذوفات، فكثيرًا ما يحذف السياق القرآني جزئيات تفصيلية إيجَازًا– خاصة في مقام تنفيذ الأمر لسرعة إنجازه– ولأن المقام وظاهر الكلام يدلان عليها، والتقدير– كما قال ابن عطية– هنا: فرجع الرسول إلى الملك ومن مع الملك فقص عليهم مقالة يوسف، فرأى الملك وحَاضِروه نُبْلَ التعبيرِ، وَحُسْن الرَّأي، وَتَضَمُّنَ الغيب في أمر العام الثامن مع ما وصفه به الرسول من الصدق في المنام المتقدم، فعَظُم يوسف في نفس الملك [١]. وعلم أنّ ما قاله كائن فطلب رؤية يوسف ليتحقق بنفسه صدق ما فهمه من كلامه، فقَوله:﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ﴾ كي أَسْمَعَ كَلَامَهُ بِأُذُنِي، وَأَخْتَبِرَ تَفْصِيلَ رَأْيِهِ وَدَرَجَةَ عَقْلِهِ بِنَفْسِي[٢]، ويفهم من فعل الأمر الإنجازي(أتى) الترفق مع يوسف، وتذليل الصعاب لمجيئه؛ إذ "الإتيان: مجيء بسهولة"[٣]، ويقال:" آتَيْتُ فُلَانًا عَلَى أَمْرِهِ مُؤَاتَاةً، وَهُوَ حُسْنُ الْمُطَاوَعَةِ... تَأَتَّ لِهَذَا الْأَمْرِ، أَيْ: تَرَفَّقْ لَهُ"[٤]. ورد الدكتور جبل المعنى المحوري لـ(أ ت ى) إلى" وصول أو تقدم وحضور إلى مكان– أو شيء– بتهيئة أو قوة تزيل ما يعوق، مع خفاء مصدر... تأتّى له الشيء: تهيّأ، وتأتّى فلان لحاجته: إذا ترفّق لها وأَتاها من وجهها"[٥].

واكتفى الملك بالإشارة إلي يوسف بالضمير في قوله﴿بِهِۦٓ﴾؛ استعجالًا لإحضاره، واختصارًا للوقت الذي يضيع في النطق باسمه[٦]. والخطاب في﴿ٱئۡتُونِي﴾ للملأ لإرسال رسولٍ يجلب له يوسف سريعًا، ولذلك فرَّع عليه بالفاء التعقيبية

(١) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٣/ ٢٥١ وما بعدها.
(٢) ينظر: تفسير القرآن الحكيم لمحمد رشيد رضا ١٢/ ٢٦٥.
(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى صـ ٦٠.
(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١/ ٥١ (أ ت ى) .
(٥) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن، د: محمد حسن جبل ١/ ١٩٢(أ ت ى) .
(٦) ينظر: التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ٦/ ١٢٨٤.

بقوله:﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾. ويحتمل أن يكون الرسول هنا هو الساقي، وقد يكون رسولًا خاصًا ذا شأن عند الملك، وهو ما أميل إليه خاصة أن الأمر الإنجازي﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ﴾ يفيد الاهتمام بيوسف وإكرامه، وهو ما يتناسب مع دلالة لفظ الرسول.

وقوله:﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾ يأمرُه بالخروج إلى الملك﴿قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي إلى الملك، والأمر الإنجازي بلفظ الرجوع يفيد إصرار يوسف علي عدم الخروج إلا بعد تحقق الأمر الإنجازي؛ لأن "الرَّاء وَالْجِيم وَالْعَيْن أَصْل كَبِير مُطَّرِد مُنْقَاس، يَدُلُّ عَلَى رَدٍّ وَتَكْرَارٍ، تَقُولُ: رَجَعَ يَرْجِعُ رُجُوعًا، إِذَا عَادَ. وَرَاجَعَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ... وَالتَّرْجِيعُ فِي الصَّوْتِ: تَرْدِيدُهُ... وَأَرْجَعَتِ الْإِبِلُ، إِذَا كَانَتْ مَهَازِيلَ فَسَمِنَتْ وَحَسُنَتْ حَالُهَا، وَذَلِكَ رُجُوعُهَا إِلَى حَالِهَا الْأُولَى"(١). فتثبت يوسف في إجابة الملك وتوقف عن الخروج مع طول حبسه حتي يرجع إلي حالته الأولى التي كان عليها من عدم الاتهام وتظهر للملك براءته قبل حضوره فلا يراه مذنبًا أو خائنًا ولا يتسلق الحاسدون إلى تقبيح أمره عنده، وهذا هو سبب فعل الأمر الإنجازي، قال ابن عباس: لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك بشأنه ما زالت في نفس العزيز منه حاجَةٌ، يقول: هذا الذي راود امرأته(٢).

والأمر الإنجازي الصادر من يوسف﴿فَسۡـَٔلۡهُ﴾ فيه معنى الحث الشديد والاستقصاء والتفتيش من الملك عن هذه الحادثة للتحقق منها والتدقيق فيها؛ إذ المعنى المحوري لتركيب(س أ ل) يدل على" استخراج ما في حوزة أخرى، أي طَلَبُ تحصيله بَدفْع أو حثّ كما تخرج الصدقة والدرهم من المسئول، وما السؤال إلا حَثٌّ ودفع من أجل هذا، أي استخراج واستنفاذ"(٣). ولذا كان الأمر الإنجازي- السؤال هنا- مستعمل في التنبيه دون طلب الفَهم، أمره بأن يسأله ويستفهمه عن

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٤٩٠(ر ج ع).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري ١٦/ ١٣٤، والنكت والعيون للماوردي ٣/ ٤٦ .

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن، د: محمد حسن جبل ٢/ ١٠٥٣ (س أ ل).

ذلك، ولم يقل فاسأله أن يفتش عن حالهن ولم يكشف له عن القصة؛ تهييجًا له على الجد في البحث وتحقيق الحال؛ إذ السؤالُ مجملًا مما يهيج الإنسانَ على الكشف والبحث؛ لأنه يأنف من جهله وعدم علمه به، ولو قال: سله أن يفتش عن ذلك، لكان طلبًا للفحص عنه، وهو مما قد يتسامح ويُتساهل فيه ولا يبالى به، وفيه جرأة عليه، فربما امتنع منه ولم يلتفت إليه(١). كما أن السؤال كان عن البال، والْبَال: الشيء الذي يُهْتم به ويبحث عنه، "وأَمر ذو بَالٍ: أي شريفٌ يُحتفل له ويُهتمُّ به"(٢).

وجعل الأمر وهو السؤال عن النسوة اللاتي قطعن يديهن جملة؛ ليدخل فيهن امرأة العزيز مدخل العموم بالتلويح حتى لا يقع عليها تصريح، وذلك حسن عِشْرَةٍ وَأَدَبٍ مع العزيز؛ وتسهيلًا للكشف عن أمرها؛ لأن ذكرها مع مكانة زوجها من الملك ربما يصرف الملك عن الكشف رَعْيًا للعزيز؛ ولأن النسوة كن شواهد على إقرار امرأة العزيز بأنها راودت يوسف عن نفسه، فلا جرم كان طلب الكشف عن أولئك النسوة منتهى الحكمة في البحث وغاية الإيجاز في الخطاب(٣).

وقوله:﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ قائم مقام العلة، والظاهر أن الرب هنا هو الله-ﷻ- وعلى هذا ففي الآية وعيد وتهديد، أي هو الذي يتولى حسابهن وسيجازيهن على ذلك، وحكى الطبري أنه أراد به سيده العزيز، ففي ذلك استشهاد به وتقريع له، والمعنى: أنه يعلم براءتي(٤).

وعلى هذا فيوسف استخدم في خطابه إستراتيجية مع رسول الملك للوصول إلى هدفه من الخطاب، وهو ظهور البراءة، فأصر على عدم الخروج من السجن، والتفتيش والاستقصاء الحثيث لحادثة النسوة التى تعتبر من أدلة ظهور براءته.

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٤/ ٢٨٤، ومحاسن التأويل للقاسمي ٦/ ١٨٤.
(٢) لسان العرب لابن منظور ١١/ ٧٤ (ب و ل) .
(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/ ٢٠٧، والتحرير والتنوير ١٢/ ٢٨٩.
(٤) ينظر: جامع البيان للطبري ١٦/ ١٣٧، والمحرر الوجيز لابن عطية ٣/ ٢٥٢.

المبحث الثاني

الإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية في عواقب تأويل يوسف لرؤيا الملك دراسة تداولية

تعرضت سورة يوسف بما فيها من أحداث للجزء الثاني من حياة يوسف، وهو جانب التمكين والإعزاز والرخاء، فبعد مرارة الظلم التي لقيها يوسف من إخوته ومن النسوة- وعلى رأسهم امرأة العزيز- ثم دخوله السجن، يأتي تمهيد لفك الكرب وتفريج الله عنه بتأويل يوسف لرؤيا الفتيين اللذين دخلا معه السجن(فتيا الملك)، ثم تأويل رؤيا الملك نفسه- والتي عجز عن تأويلها ملؤه وخاصته- ليطلبه الملك فيرده يوسف بغية البراءة من المراودة والخيانة، ليبدأ الجزء الثاني والذي تبوأ فيه يوسف مكانة عظيمة عند الملك بعد معرفة حقيقة الأحداث، ليصبح بعدها عزيز مصر وبيده خزائنها ليتمكن من إحلال الخير والإغداق على أهل الأرض والتخلص من بلاء المجاعة لينفتح مجال الدعوة إلى الله وحده أكثر، ثم تنتهي القصة بلقاء الإخوة، وجمع الشمل مع أبيه وإخوته ليتغلب جانب العفو، وكل هذه الأحداث تخللها صدور أوامر من عدة أطراف كان لها عظيم الأثر على حياة يوسف، وسوف أقوم بتحليل هذه الأوامر التي اتخذت إستراتيجية في التخاطب استهدفت فهم المقصود من الأمر وغرضه وتأثير ذلك على المتلقي في ضوء النظرية التداولية.

المشهد العاشر: تمكين يوسف من خزائن الأرض(مصر)

١٠- قوله تعالى:﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾.

التحليل التداولي للإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية في الآية: السياق يدل على أن في الكلام إيجازًا بالحذف، تقديره: وبعد أن انكشف للملك براءة يوسف- من المراودة- انكشافًا تامًا، وعرف صبره وتجلده، أو نبوته، وسمع تفسيره للرؤيا أعجب به، فقال الملك(المخاطِب) لخاصته (مخاطَبين) آمرًا إياهم بالفعل الإنجازي:﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ﴾ واستعمال فعل الأمر

الإنجازي هنا للدلالة علي إكرام يوسف، فهو يدل علي" مجيء بسهولة، ومنه قيل للسيل المارّ على وجهه: أَتِيّ"[١]. ويقال:" تَأَتَّ لِهَذَا الْأَمْرِ، أَيْ: تَرَفَّقْ لَهُ"[٢]. والمراد به هنا: قربوه إليّ، والضمير في:﴿بِهِۦٓ﴾ أي بيوسف، ولم يصرح به للدلالة علي سرعة الإتيان، وإسناد الضمير إلي فعل الأمر الإنجازي للدلالة علي إتيان يوسف للملك خاصة لإكرامه، لا ليستجوبه– مثلًا– عن أمر النسوة أو جعله في موطن الاتهام، وهو ما عبر عنه السياق البعدي بقوله:﴿أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِىۖ﴾.

وقوله:﴿أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِىۖ﴾ هو علة فعل الأمر الإنجازي، فالملك أولًا– حين تحقَّق علمُه– قال:﴿ٱئْتُونِى بِهِۦٓ﴾ فقط، فلما ثبت للملك براءته مما نُسب إليه وأمانته، وفهم أيضًا صَبْرَه وجَلَده عَظُمَت منزلته عنده، وتيقَّن حسن خلاله قال: ﴿ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِىۖ﴾[٣] أي ليكون خالصًا لنفسي لا يشركني فيه أحد، وخاصًا بي في تصريف أمورى، وكتمان أسراري، وتسيير دفة الحكم في مملكتي[٤].

والسين والتاء في علة الأمر(أَسْتَخْلِصْهُ) للمبالغة في طلب الخلوص له، ولذا قال (لِنَفْسِىۖ) وهذا كناية عن شدَّة اتصاله به والعمل معه، خاصة بعد معرفته بقيمة يوسف؛ لأن الاستخلاص: طلب خلوص الشيء من شوائب الشركة، فالخالص كالصافي إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه، والصّافي قد يقال لما لا شوب فيه[٥]. ولذا قال ابن فارس:" الْخَاءُ وَاللَّامُ وَالصَّادُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ، وَهُوَ تَنْقِيَةُ الشَّيْءِ وَتَهْذِيبُهُ. يَقُولُونَ: خَلَّصْتُهُ مِنْ كَذَا وَخَلَصَ هُوَ"[٦].

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب للأصفهاني صـ٦٠.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ١/ ٥١ (أ ت ى).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/ ٢١٠.

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج ٣/ ١١، والتفسير الوسيط، د: محمد سيد طنطاوي ٣٧٩/٧.

(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني صـ ٢٩٢.

(٦) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٢٠٨ (خ ل ص).

والفاء في قوله:﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾، معطوفة على محذوف يفهم من سياق ما تتساوق معه مجريات القصة وحوادثها، أي فجاء الرسول يوسف، وقال: أجب الملك، فأتَوا به ودخل على الملك، فحُذفت جزئية تنفيذ أمر الملك لنجد يوسف معه؛ للإيذان بسرعة الإتيانِ به فكأنه لم يكن بين الأمر بإحضاره والخطاب معه زمان أصلاً [١].

ويفهم من دلالة قوله:﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ أن يوسف لم يتمكن من قلب الملك إلا بعد أن تبين له علمه، فلم يغتر بجمال الصورة والشكل، بل نظر إلي الجوهر؛ ولذا عبر بالظرف فقال﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا﴾ "واليوم ليس بمعيار للمكانة والأمانة، بل هو آن التكلم، والمراد تحديد مبدئهما احترازًا عن كونهما بعد حين، وفي اختيار(لدى) على (عند) ما لا يخفى من الاعتناء بشأن يوسف، وكذا في اسمية الجملة وتأكيدها"[٢].

وقوله ليوسف﴿مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ ليسُدَّ باب التآمر والوشاية عليه، فعن" أبي زيد: فلانٌ مَكينٌ عند فلان: بيِّن المكانة يعني المنزلة"[٣]. وهي صيغة تولية جامعة لكل ما يحتاج إليه وليُّ الأمر من الخصال؛ لأن المكانة تقتضي العلم والقدرة، "والأَمين: المؤتَمَن... أنت في أَمْنٍ من ذلك أي في أمانٍ"[٤]. وقال ابن عباس: يريد مكنتك في ملكي، وجعلت سلطانك فيه كسلطاني وائتمنتك فيه[٥].

ولما وصف الملك يوسف بالتَّمكن عنده والأمانة طلب منه يوسف من الأعمال ما يناسب هذين الوصفين فقال:﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾. وفعل

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم ٢٨٦/٤، وإعراب القرآن لمحيي الدين درويش ٥/١٢.
(٢) روح المعاني للألوسي ٧/ ٦.
(٣) تهذيب اللغة للأزهري ١٠/ ١٦١(م ك ن).
(٤) لسان العرب لابن منظور ١٣/ ٢١(أ م ن).
(٥) ينظر: التفسير البسيط للواحدي ١٢/ ١٥٣.

الأمر الإنجازي:﴿ٱجۡعَلۡنِي﴾ لا يقتضي فقط وضعه على خزائن الأرض، بل يدل على عموم التمكن وتهيئته لذلك بحيث يتحول من حال إلى حال؛ فـ" جَعَلَ جَعْلاً: صنع صنعًا، وجَعَلَ أعمُّ، لأنَّكَ تقول: جَعَلَ يأكُلُ، وَجَعَلَ يصنع كذا، ولا تقول: صَنَعَ يأكُلُ"(١). و"جَعَلَ الشيءَ يَجْعَله جَعْلًا ومَجْعَلًا واجْتَعَلَه: وَضَعه... وجَعَل: عَمِلَ وهَيَّأَ"(٢). وقد رد أستاذنا الدكتور جبل المعنى المحوري لتركيب(ج ع ل) إلى" تحويل الشيء إلى وضع أو هيئة معينة... ومعنى جعل وما تصرف منها في القرآن يكون للتحويل والتهيئة على وضع... وهو تحويل للهيئة بإنشاء هيئة جديدة، فهو إيجاد يتأتّى منه النَصْبُ(الإقامة)"(٣). ويدل على شدة التمكن أن "(عَلى) هنا للاستعلاء المجازي، وهو التَّصَرُّفُ والتمكن، أي اجعلني متصرِّفًا في خزائن الأرض"(٤).

واللام في﴿ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ للعهد، أي: ولِّني خزائن أرضك، فدخلت الألف واللام عوضًا من الإضافة، والخزائن: لفظ عام لجميع ما تختزنه المملكة من طعامٍ ومالٍ وغيره، وقوله:﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ هو علة الأمر، وهما صيغة مبالغة على فعيل، أي: أحفظ ما تستحفظه وما استودعتني، عليم بوجوه التصرف وما أوليتني، وعن ابن عباس: حفيظ لما تحت يدي عليم بالناس. وقيل: حفيظ للحساب عليم بالألسن. وقيل: حفيظ لما استودعتني عليم بسِنِي الجوع، وصف نفسه بالأمانة والكفاءة وهما مقصود الملوك ممن يولونه؛ إذ يعمان وجوهَ التَّثْقِيف والحياطة، ولا خلل معهما لقائلٍ(٥).

لقد سلك يوسف إستراتيجية إقناعية في خطابه للملك بدءًا من طلبه سؤال

(١) كتاب العين للخليل ١/ ٢٢٩(ج ع ل).
(٢) لسان العرب لابن منظور ١١/ ١١٠(ج ع ل).
(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن، د: محمد حسن جبل ١/ ٣١٦(ج ع ل) .
(٤) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ١٣/ ٨.
(٥) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٢٩١، والجواهر الحسان للثعالبي ٣/ ٣٣٤.

النسوة بغية ظهور براءته، ثم طلبه أن يتولى بنفسه الوظيفة التي يحسن القيام بها، والتي كشف عن مضمونها في تأويل رؤيا الملك، فهو يريد أن يحقق هذا التأويل وأن ينفّذه على الصورة التي تأولها عليه، ثم أشار إلى الصفات التي تؤهله لهذا الأمر الذي ندب نفسه له لعلمه أن أحدًا غيره لا يقوم مقامه في ذلك، وقدّم الحفظ على العلم؛ لأن الحفظ أولى وأهم من العلم؛ إذ قد يستغنى الحفظ هنا عن العلم، ويتحقق للناس بعض الخير، أو كثير منه، على حين أنه لو استغنى العلم عن الحفظ لما تحقق للناس في هذه الحال خير أبدًا، ولكان العلم مجرد حقائق مرسومة في كلمات، أو مودعة في كتاب، فإذا اجتمع الحفظ والعلم اجتمع الخير كلّه[1].

المشهد الحادي عشر: استدراج الإخوة

١١- قوله تعالى:﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

المناسبة السياقية: بعد أن طلب يوسف من ملك مصر وقال له:﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ استجاب الملك بإرادة الله، فمكّن الله-ﷻ- ليوسف في أرض مصر، ومصر حينئذ كان لها شأن عظيم؛ إذ إنه لما عمَّ القحطُ البلاد قصد الناس مصر من كل مكان لجلب الطعام، وكان يوسف لا يعطي أكثر من حمل بعير للفرد مساواة بين الناس، ثم لما وصل القحط أيضًا إلى البلدة التي كان يسكنها يعقوب، أرسل يعقوب بنيه العشرة إلى مصر لجلب الطعام، وأمسك بنيامين عنده، فلما دخلوا عليه عرفهم يوسف وأنكروه [2]، فذلك قوله:﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ٧/ ٥ وما بعدها.

(٢) ينظر: الوسيط للواحدي ٢/ ٦١٩، ولباب التأويل للخازن ٢/ ٥٣٧.

بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ..﴾.

التحليل التداولي للإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية في الآية: قوله:﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ...﴾ معطوف على كلام مقدر مفهوم من السياق، أي: فكلمهم وسألهم عن سبب قدومهم وعن حالهم في قومهم، والذي يدل على هذا السياق البعدي في قوله:﴿قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾.

قوله:﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ يفهم منه أن يوسف تركهم يستأنسون إليه ليستدرجهم يقال:" جهَّزْتُ القومَ تجهيزًا، إذا تكلّفت لهم جَهازَهم للسَّفَر"[(١)]. وما يحتاجون إليه.

وفعل الأمر الإنجازي الصادر من يوسف لإخوته في قوله تعالى:﴿ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ لابد– والله أعلم– أن يكون قد سبقه كلام تسبب عنه ما يُوجب طلبَ أخيهم منهم، وحتى لا يثير انتباههم ويشعروا بأنه يعرفهم وهو لا يريد ذلك، والسياق القرآني لم ينص على السبب، أما أهل التأويل فذكروا فيه وجوهًا[(٢)]. وعلى أرجحها يكون المراد من قوله تعالى:﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ أي

(١) كتاب العين للخليل ٣/ ٣٨٥(ج هـ ز).

(٢) الوجه الأول: وهو أحسنُها إن عادة يوسف مع الكل أن يُعطيَه حِمْل بعيرٍ لا يزيد عليه ولا ينقص، وإخوة يوسف الذين ذهبوا إليه كانوا عشرة، فأعطاهم عشرة أحمال، فقالوا: إن لنا أبًا شيخًا كبيرًا، وأخًا آخر بقي معه، وذكروا أن أباهم لأجل سنِّه وشدة حزنه لم يحضر، وأن أخاهم بَقِي في خدمة أبيه ولا بد لهما أيضًا من شيء من الطعام، فلما ذكروا ذلك جهَّز لهما أيضًا بعيرينِ آخرينِ من الطعام، وقال لهم: هذا يدل على أن حُبَّ أبيكم له أزيد من حبه لكم، وهذا شيءٌ عجيب؛ لأنكم مع جمالكم وعقلكم وأدبِكم إذا كانت محبة أبيكم لذلك الأخِ أكثر من محبته لكم دَلَّ هذا على أن ذلك أُعجوبة في العقل والفضل والأدب فجيئوني به حتى أراه. فهذا السبب محتمل مناسب. والوجه الثاني: أنهم لما دخلوا على يوسف وأعطاهم الطعام قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن قوم رُعاة من أهل الشام أصابنا الجهد فجئنا نمتار. فقال: لعلكم جئتم عيونًا وجواسيس. فقالوا: معاذ الله، نحن إخوة =

حمل لكل واحد منهم بعيرًا بعدّته﴿قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ﴾ يعني بنيامين، حتى يتبين صدق ما تريدون من طلب حمل زائد على أحمالكم لأجله، فعن ابن إسحاق:" ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَجْعَلُ لَكُمْ مَعَهُ بَعِيرًا آخَرَ "(١).

وإضافة الضمير لفعل الأمر الإنجازي﴿ٱئۡتُونِي﴾ يفيد إكرام بنيامين، فالضمير ليوسف وهو حينئذ قائم مقام الملك، وفعل الإتيان يدل على الـ"مجيء بسهولة"(٢). يُقَالُ:" تَأَتَّ لِهَذَا الْأَمْرِ، أَيْ: تَرَفَّقْ لَهُ"(٣). وقوله:﴿مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ﴾ حال من قوله: ﴿بِأَخٖ لَّكُم﴾ أى: أخ لكم حالة كونه من جهة أبيكم، وهذا من مفهوم الاقتصار الدال على عدم إرادة غيره، والعدول عن أن يقال: ائتوني بأخيكم من أبيكم؛ لأن المراد حكاية ما اشتمل عليه كلام يوسف من إظهار عدم معرفته بأخيهم إلا من ذكرهم إياه عنده، فعَدل عن الإضافة المقتضية المعرفة إلى التنكير تَنَابُهًا في

=

بنو أب واحد شيخٍ صديقٍ نبِيٍّ اسْمُه يعقوب. قال: كم أنتم. قالوا: كنا اثني عشر فهلك منا واحد وبقي واحد مع الأب يتسلى بِه عن ذلك الذي هلك، ونحن عشَرة وقد جئناك. قال: فدعوا بعضكم عندي رهينةً وائتوني بِأخٍ لكم من أبِيكم لِيُبَلِّغ إليَّ رِسالة أبِيكم، فعند هذا أقرعوا بينهم فأصابت القرعةُ شَمْعُون، وكان أحسنهم رأيًا في يوسف فَخَلَّفُوه عنده. وهذا السبب ذكره المفسرون. والسياق يضعف هذا القول؛ لأنه تعالى حكى عن يوسف أنه قال:﴿أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ﴾ أي أتمه ولا أبخسُه، وأزِيدُكم حمل بعيرٍ آخر لأجل أخيكم ﴿وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾ أي المضيفين حيث أحسن ضيافتَهم. فهذا الكلامُ يُضْعِفُ هذا الوجه؛ لأن مداره أنه اتهمهم بالتجسس، وشافههم به فلا يليق به أن يقوم لهم بعد ذلك:﴿أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾، وأيضًا يَبْعُد من يوسف–عليه السلام– مع كونه صِدِّيقًا أن يبهتهم ويقول لهم أنتم جواسيس وعيون مع أنه يعرِف براءتَهم عن هذه التهمة. ينظر: مفاتيح الغيب للرازي ٤٧٧/١٨ وما بعدها.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٧/ ٢١٦٤.

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني صـ٦٠.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس ١/ ٥١ (أ ت ى).

التظاهر بجهله به[١].

ثم سلك يوسف إستراتيجيتين في إقناع الإخوة بفعل الأمر الإنجازي من خلال بيانه لعلة طلبه، أولاهما: إستراتيجية الترغيب والاستمالة والتحريض فقال:﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ﴾[٢] آثر التعبير بصيغة الاستقبال في الرؤية مع أنه قد كال لهم لإفادة أنهم مشاهدون عادته في عدله مع كل الناس، وعدم بخسه شيئًا وإتمامه لهم كيلهم، فكيف يزيد لكم حمل بعير إلا بعد تبين صدقكم والإتيان بأخيكم لكى يكيل له، حتى لا يتهم بعدم المساواة وحرمان رب أسرة آخر من حقه في الطعام، والحال﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ " قال مجاهد: أي خيرُ الْمُضِيفِينَ. وكان قد أَحْسَنَ ضِيَافَتَهُمْ"[٣]. والإستراتيجية الثانية: الترهيب حيث هددهم بقوله:﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى﴾ من الطعام في المستقبل، ثم شدد عليهم بالنهي عن الاقتراب منه بعد ذلك المتضمن معنى عدم الكيل مرة أخرى؛ ليسد عليهم باب الذريعة، ويقطع عنهم الوسيلة؛ ليضفي جو الرهبة؛ ليتعانق الأمر والنهي في تأكيد إستراتيجية الترهيب فقال:﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ أي في المستأنف، وهو جزم يدل على النهي، "فلذلك حُذفت منه النُّونُ وَحُذِفَتِ الْيَاءُ؛ لأنه رَأْسُ آيَةٍ، ولو كان خبرًا لكان(تَقْرَبُون) بفتحِ النُّون"[٤].

ويبدو أن إخوة يوسف قد أَثَّرت فيهم إستراتيجية التهديد وخافوا من عدم تنفيذ الأمر فاضطربوا في جوابهم لطلب يوسف بما يوحيه لفظ المراودة من معنى المخادعة والاحتيال في رفق والمبالغة في ذلك حيث﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ١٣/ ١٣.

(٢) قوله:(أُوفِي الْكَيْلَ) يحتمل وجهين: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ رَخَّصَ لَهُمْ فِي السِّعْرِ فصار زِيَادَةً فِي الْكَيْلِ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ كَالَ لهم بمكيال وافٍ. ينظر: النكت والعيون للماوردي ٣/ ٥٤.

(٣) معالم التنزيل للبغوي ٢/ ٥٠٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/ ٢٢٢.

وبعد أن سلك يوسف مع إخوته إستراتيجية القول– ترغيبًا وترهيبًا– للتأثير على إخوته لإنجاز ما أمرهم به، سلك إستراتيجية أخرى، حيث رغبهم هنا بالفعل زيادة في التأثير النفسي عليهم لإنجاز المطلوب، فقال عاطفًا على قوله الماضي لهم:﴿وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ﴾ غلمانه﴿ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد الدراهم والدنانير التي جاءوا بها، وروى الضحاك عنه قال: كانت بضاعتهم النِّعَال وَالْأُدُم. وقال قتادة: بضاعتهم يريد أوراقهم. وأما الرحال فهي الأوعية التي يحملون فيها الطعام(١). والمراد أنه أمر غلمانه أن يدسّوا البضاعة التي جاء بها إخوة يوسف بين أمتعتهم من الكيل الذي كاله لهم، ثم بين يوسف العلة من طلب فعل الأمر بقوله:﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ﴾ فجعل علة جعل البضاعة في الرحال هي معرفتهم لها إذا انقلبوا إلى أهلهم، وذلك لأنهم لا يعلمون برد البضاعة إليهم إلا عند تفريغ الأوعية التي جعلوا فيها الطعام، وهم لا يُفَرِّغُونها إلا عند الوصول إلى أهلِهم، ثم علّل معرفتَهم بوجود البضاعة المردودة إليهم المجعولة في رحالهم بقوله:﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ فإنهم إذا عرفوا ذلك– وعلِموا أنهم أخذوا الطعام بلا ثمنٍ عرفوا كرمه واطمأنوا إليه، وأنه لا يريد إيذاء أحد منهم– أسرعوا إلى إنجاز ما أمرهم به، ونَشِطُوا إلى العود إليه، ولا سيما مع ما هم فيه من الجدب الشديد والحاجة إلى الطعام، وبهذا يظهر أن يوسف لم يَرُدّ البضاعة إليهم إلا لهذا المقصد(٢). فيوسف قصد بذلك استمالتهم، ومما يدل على هذا ما جاء في السياق البعدي من سرورهم بالبضاعة، حيث قالوا:﴿يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ﴾(٣).

المشهد الثاني عشر: مراودة الإخوة لأبيهم لإرسال أخيهم معهم

١٢- قوله تعالى:﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ

(١) ينظر: التفسير البسيط للواحدي ١٢/ ١٦٤.

(٢) ينظر: فتح القدير للشوكاني ٣/ ٤٥ وما بعدها.

(٣) ينظر: البحر المديد لابن عجيبة ٢/ ٦٠٨ وما بعدها.

أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

التحليل التداولي للإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية في الآية: سياق الكلام هنا وثيق الصّلة بما قبله، فيوسف بعد أن أمر إخوته بقوله:﴿ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ﴾ بدأ الإخوة في مراودة أبيهم لإنجاز المطلوب﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ...﴾ أي "من مصر ممتارين، بادروا بما كان أهم الأشياء عندهم من التوطئة لإرسال أخيهم معهم"[(١)]. والفاء تدل على سرعة الرجوع، ولما الحينية تدل على أنهم فور رجوعهم من مصر إلى أبيهم صدرت مقالتهم، ولعل فعل الرجوع يفيد معنى العودة بخيبة الأمل؛ لأن " الرُّجُوع: العود إلى ما كان منه البدء"[(٢)]. فربما أفاد الرجوع معنى العودة إلى ما كانوا عليه من الحاجة إلى الطعام والمِيرَة كما كان عليه الحال قبل السفر؛لأن الْمِيرَةَ التي اكتالوها لا تكفي، وقوله:﴿قَالُواْ﴾ أي مجتمعين بدون تمهل﴿يَٰٓأَبَانَا﴾ النداء للقرب لإفادة التلطف في الخطاب تمهيدًا لبغيتهم﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾، وقولهم هذا فيه رأيان: الأول: ظاهره أنه إشارة إلى قول يوسف:﴿فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي﴾، ويكون مُنِع يرادُ به في المستقبل، وإلا فقد كَيَّل لهم، وجاؤوا أباهم بالمِيرَة، لكن لما أُنذروا بِمَنْع الكيل قالوا: مُنِعَ، وقد تجوزوا في ذلك تفخيمًا للأمر حتى تسمح نفس يعقوب بإرسال بنيامين معهم، والمعنى: منعنا من أن نطلب الكيل إلا إذا حضر معنا أخونا. والثاني: أنهم أشاروا إلى بعير بنيامين الذي مُنِع من المِيرَة؛ لأن حَمْل ﴿مُنِعَ﴾ على الماضي على الحقيقة أولى ولقولهم:﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ﴾ وَيُقَوِّيهِ قِرَاءَةُ يَكْتَلْ بِالْيَاءِ[(٣)]، أَيْ يَكْتَلْ أَخُونَا، فَإِنَّمَا مُنِعَ كَيْلُ

(١) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٦/ ٢٩٤.

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني صـ ٣٤٢.

(٣) قرأ حمزة والكسائى: (يَكْتَلْ) بِالياء، وقرأ باقي السبعة: (نَكْتَلْ). ينظر: السبعة في القراءات صـ٣٥٠.

بَعِيرِهِ لِغَيْبَتِهِ[١].

وقد رجح كثير من العلماء الرأي الأول[٢]، واعترضوا على الرأي الثاني[٣]. والأولى أنه لم يمنعهُم الكيل، بل جهَّزهم واكتالَ لهم كما يدلُّ عليه السياق القبلي:﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ وأنهم أرادوا بقولهم:﴿يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ سلوك إستراتيجية تحقق لهم غرضهم بالاستيلاء على عاطفة أبيهم، وإغرائهم له بالمبادرة إلى إجابة طلبهم حتى يلحقوا دورهم من الطعام قبل أن ينفد، ويدل على هذا أنهم تلطّفوا مع يعقوب في طلب فعل الأمر حيث قالوا:﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا﴾ بإضافة أخيهم إلى ضميرهم؛ إظهارا لشفقتهم عليه وأنه في معيتهم، وفعل الأمر الإنجازي(أرسل) هو الفعل نفسه لذي استخدموه- قبل ذلك- عند طلبهم من أبيهم إرسال يوسف معهم، وفعل الأمر في الموضعين يفيد معنى الانبعاث على تؤدة وسهولة السّير؛ إغراء لأبيهم لإنجاز طلبهم، وقد أكّدوا هذا بحفظهم له هنا "بالجملة الاسمية الدالة على الثبات وبحرف التوكيد"[٤] فقالوا:﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ أي نحفظه حفظًا شديدًا ونمنعه من أي مكروه وسوء ذهابًا وإيابًا كما يفيده تقديم ضمير أخيهم﴿لَهُۥ﴾ على قوله: ﴿لَحَـٰفِظُونَ﴾ والذي يفيد اختصاص الحفظ به.

المشهد الثالث عشر: وصية الأب لأبنائه

١٣- قوله تعالى:﴿وَقَالَ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴿٦٧﴾﴾.

(١) ينظر: لطائف الإشارات للقشيري ٢/ ١٩٣، والبحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٢٩٥.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز ٢٥٩/٣، والجواهر الحسان ٣٣٦/٣، والتحرير والتنوير ١٣/ ١٥.

(٣) قراءة (يكتل) بناء على أن الكيل للأخِ وحده قد اعترض عليه بأن إسناد الكيل للأخِ لا ينافي كونه للجميعِ، والمعنى: يكتال بِنيامين لنا جميعًا، أو له ولنا. ينظر:إعراب القرآن للنحاس٢٠٧/٢.

(٤) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ١٣/ ١٦.

التحليل التداولي للإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية في الآية: الكلام هنا وثيق الصلة بما قبله من حوار أبناء يعقوب مع أبيهم ووصية أبيهم لهم عند سفرهم بقوله:﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ﴾ وهو "عطف على جملة﴿قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾، وإعادة الفعل(قال)؛ للإشارة إلى اختلاف زمن القولين وإن كانا معًا مُسَبَّبَين على إيتاء موثقهم؛ لأنه اطمأن لرعايتهم ابْنَهُ وظهرت له المصلحة في سفرهم للإمتار، فقوله: يا بَنِيَّ لا تَدْخُلوا مِن باب واحد صادرٌ في وقت إِزْمَاعِهِمُ الرحيل"(١).

والنداء والإضافة في﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ﴾ تدل على شفقة وعطف يعقوب على أبنائه، وتصديقه لحديثهم وحرصهم على أخويهما، وقوله:﴿لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ﴾ نهى يتضمن عدم دخول مصر من باب واحد، والواحد: الذي لا ينقسم، وفي المراد بهذا الباب قولان: أحدهما: أنه أراد بابًا من أبواب مصر، وكان لمصر أربعة أبواب، قاله الجمهور. والثاني: أنه أراد الطرق لا الأبواب، روي عن ابن عباس والسدي(٢).

والسبب في نهي يعقوب–عليه السلام– لأولاده عن الدخول من باب واحد ثم تأكيد ذلك بالأمر بالدخول من أبواب متفرقة للعلماء فيه أقوال(٣).

---

(١) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ١٣/ ٢٠.

(٢) ينظر: النكت والعيون للماوردي ٣/ ٥٩، وزاد المسير لابن الجوزي ٢/ ٤٥٥.

(٣) الأول: قَول ابْن عَبَّاس والضحاك وقتادة وأَكثر الْمُفَسّرين، وهو أنهم كانوا رجالًا لهم جَمَال وهيأة كما يدل عليه السياق عند قوله:﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ فخاف عليهم العينَ إذا دخلوا جماعة من طريق واحدٍ، وهم ولد رجل واحد، خاصة وقد أصبحوا مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك لا سيما بعد أن أدركوا كرامتهم على العزيز من إعطائهم الطعام في المرة السابقة دون مقابل، ورده بضاعتهم عليهم في زمن المجاعة حيث الناس في شدة، فذلك من شأنه أن يدير الرؤوس إليهم والأحاديث عنهم، وتختلف الآراء فيهم، وليس ببعيد أن يكاد لهم من أكثر من جهة، من تجار مثلهم، أو من حاشية العزيز نفسه، =

وأكد يعقوب–عليه السلام– نهيه السابق بفعل الأمر الإنجازي بقوله:﴿وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ إشفاقًا وخوفًا على بنيه وإظهارًا لكمال العنايةِ وبيانًا للمراد بالنهي واحترازًا من عدة أمور، فقد قال ابن عرفة:" فإن قلت هلا أمرهم بالدخول واحدًا بعد واحد من باب واحد؟ قلنا: تفرقهم في الأمكنة أشد عليهم من تفرقهم في الأزمنة، والوجود يشهد له"(١). ولذا جمع فقال:﴿أَبۡوَٰبٖ﴾ تحسبًا لانقسامهم نصفين ودخولهم من بابين، ومن ثم عدل عن أبواب متعددة إلى أبواب متفرقة؛ احترزًا من أن تكون متلاصقة أو متقاربة جدًا، فقال:﴿مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ أي تفرقًا كبيرًا؛ لأن التفرق يقتضى بعد ما بينهما، بخلاف التعدد فهو أبلغ في حصول مراده(٢). وقال صاحب التحرير والتنوير:" وَوَجْهُ الْعُدُول عَن الْمُتَعَدِّدَةِ إِلَى الْمُتَفَرِّقَةِ الْإِيمَاءُ إلى عِلَّةِ الْأَمْرِ وَهِيَ إِخْفَاءُ كَوْنِهِمْ جَمَاعَةً وَاحِدَةً"(٣).

ويبدو أن المراد من فعل الأمر الإنجازي﴿وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ هو التعمق في أرض مصر متفرقين لحين الوصول إلى عزيز مصر، لا مجرد التفرق لحين الدخول من الأبواب ثم الاجتماع بعدها؛ وهذا قد يرجح أن سبب النهي عن الدخول من باب واحد هو البحث عن يوسف؛ لأن المعنى المحوري

=

ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الأولى؛ لأنهم كانوا مجهولين حينئذ، أو كان الداعي إليها خوفه على بنيامين. والثاني: أنه خاف أن يُغتَالوا لِما ظهر لهم في أرض مصر من التهمة، قاله وهب بن منبه. الثالث: طمع بافتراقهم أن يستمعوا أو يتطلعوا خبر يوسف. ينظر: جامع البيان للطبري ١٦/١٦٥، والمحرر الوجيز ٣/٢٦١، وأنوار التنزيل للبيضاوي ٣/١٧٠، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ٧/١٩.

(١) تفسير ابن عرفة ٢/ ٣٩٦.

(٢) ينظر: تفسير ابن عرفة ٢/ ٣٩٦، ونظم الدرر للبقاعي ١٠/ ١٥٧.

(٣) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ١٣/ ٢١.

لتركيب" الدَّال وَالْخَاء وَاللَّام أَصْل مُطَّرِد مُنْقَاس وَهُوَ الْوُلُوج"(١). أي" وُلوج الشيء–أو تغلغله– في أثناء شيء... ومن ذلك: دَاخِلة الأرض: خَمَرُها وغامِضُها، يُدْخَل فيها فتَسْتُر أو تستر ما وراءها كأنه دخل فيها، وداخلُ كل شيء: باطنه"(٢).

وهكذا نجد أن النهى الصادر من يعقوب لأولاده بعدم الدخول من باب واحد تعانق مع أمره إياهم بالدخول من أبواب متفرقة للدلالة على تمكين المعنى في نفس بنيه، ثم أتى بالجملة المنفية المُعْتَرِضَة﴿وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ﴾ للدلالة على أنه بهذه الوصية لا يغني عنهم شَيْئًا ولا يردّ عنهم قضاء الله فلو شاء أهلكهم مجتمعين أو متفرقين، ولذا أتى بالجملة التعليلية الدالة على الحصر؛ لينفي عن نفسه بوصيته ما سبق فقال:﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾ لا يشاركه ولا يمانعه في ذلك أحد﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ عمومًا وإن كان يدخل فيه أولاد يعقوب دخولًا أوليًا.

المشهد الرابع عشر: استعطاف الإخوة لأخيهم

١٤– قوله تعالى:﴿قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

المناسبة السياقية: من الواضح في سورة يوسف أن الأحداث والمشاهد– كثيرًا– ما تتوالى وتمضي في سرعة مذهلة، ليطوي السياق مشقة سفر أولاد يعقوب ليوسف وأحداثه– بعد أن أخذ عليهم الميثاق بالإتيان بأخيهم إلا أن يحاط بهم– لنجد أبناء يعقوب عند يوسف﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُۖ﴾ قال يوسف لأخيه بنيامين:﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴿٦٩﴾﴾، ثم سارع يوسف بالكيل لهم﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ أراد أن يحتال عليهم بأمر من الله

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٣٣٥ (د خ ل).

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن، د/ محمد حسن جبل ٢/ ٦٣٧ (د خ ل).

فـ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ﴾ ولما اتهموا بسرقة السقاية أو الصواع ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣﴾ فأراد يوسف أن يلزمهم الحجة؛ لأنه كان يعلم أن جزاء السارق في شريعتهم أن يسترق لمن سرق منه ﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ٧٤﴾ شهدوا فـ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٥﴾ فإذا وجد الصواع في متاع شخص فجزاؤه أن يأخذه العزيز ويسترقه عنده ﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾، ولما تحتم أخذ بنيامين لثبوت السرقة ظاهرًا عليه بمقتضى استخراج الصواع من متاعه، وبمقتضى اعترافهم، شرعوا يخاطبونه على سبيل الاستعطاف ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ...﴾.

التحليل التداولي للإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية في الآية: حاول الإخوة بقوة النداء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ﴾ وما يحويه من معنى القرب وما له من تأثير نفسي بمصاحبة وصف يوسف بالمنصب الذي يليق بالأكابر ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ وما يقتضيه من قوة خلاقة تتضمن العفو عند المقدرة استرحامه واستعطافه والترقق له؛ لكي يطلق سراح أخيهم؛ ليعود معهم إلى أبيهم، ثم ذكروا ثلاث صفات لأبيهم تستوجب من العزيز العفو والصفح، الأولى: حنان الأُبوة بقولهم:﴿إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا﴾ فهم لم يريدوا مجرد الإخبار بأن له أبًا؛ لأن ذلك معلومٌ له مما سبق، والصفة الثانية:﴿شَيۡخٗا﴾ يُقَال: شاخَ الرجلُ يَشِيخُ: إذا كَبِر، والشيْخُ: الذي استبانتْ فِيهِ السِّنُّ وَظَهَرَ عَلَيْهِ الشيبُ، وقيل: هو شَيْخٌ مِنْ خَمْسِينَ إِلى آخِرِهِ، وَقِيلَ: هُوَ مِنْ إِحدى وَخَمْسِينَ إِلى آخِرِ عُمْرِهِ، وقيل: هو من الْخَمْسِينَ إِلى الثَّمَانِين[1]، والصفة الثالثة:﴿كَبِيرٗا﴾ أي في السِّن، حيث انتهى في الكِبَر إلى أقصاه، فلا يستطع تحمل صدمة فراقه، وهو علالته التي يتعلل بها عن شقيقه

(١) ينظر: تهذيب اللغة ٧/ ١٩٦، ولسان العرب ٣/ ٣١ (ش ي خ).

المفقود، وحينئذ يكون الترقيق بالضعف، وقيل: في الْقَدْرِ وَالدِّينِ؛ لأن كبر السن معروف من حال الشيخ، فهو كبيرُ عشيرتِه وإساءتُه تسوءُهم، فعليك أن تقدر مكانة الشيخ وما تجلبه عليه سرقة ابنه، ومن عادة الوُلاة استجلاب القبائل، وحينئذ يكون الترقيق بالعزة [١]. فالأوصافُ الثلاثة "مَسُوقَةٌ للحثِّ على سَرَاحِ الابن لا لأصل الفائدة؛ لأنهم قد كانوا أخبروا يوسف بخبر أَبِيهِمْ"[٢]. ثم فَزَّعُوا على الاستعطاف السابق عرضًا آخر وهو قبول الفداء الذي جاء بفعل الأمر الإنجازي مصحوبًا بفاء التعقيب الدالة على سرعة الإجابة﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾ "قال السُّدِّيُّ: يعني احْبِس أحدنا مكانَه"[٣]. وقال ابن عباس والحسن: خذ واحدًا منا بدله على وجه الاستعباد والاسترقاق. ويحتمل أن يكون المرادُ على طريق الرهن حتى نوصلَ الفداءَ إليك[٤].

ويبدو أن أولاد يعقوب حرصوا بفعل الأمر على الحفاظ على الميثاق الذي أخذه منهم أبوهم، ولو كلفهم ذلك مشقة مادية أو معنوية؛ إذ المعنى المحوري للْهَمْزَة والخاء والذَّال يدل على" حَوْز الشيء في الأثناء ضمًّا أو قبضًا على غِلَظ ماديّ أو معنوى... ومنه: الأَخْذُ: خلافُ العطاء، تحصيل الشيء في الحوزة بقوة "[٥].

وفعل الأمر الإنجازي(فَخُذْ) يدل على استسلام إخوة يوسف لواقع الأمر وأنهم قد أكرهوا على ذلك؛ إذ" الأَخْذ: حوز الشيء وتحصيله، وذلك تارةً بالتناول نحو:﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾[يوسف:٧٩]، وتارةً بالقهر"[٦] نحو الآية التي نحن بصددها.

(١) ينظر: النكت والعيون للماوردي ٣/ ٦٦، والتحرير والتنوير ١٣/ ٣٦.
(٢) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ١٣/ ٣٦.
(٣) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زَمَنِين ٣٣٦/٢.
(٤) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط للواحدي ١٩٩/١٢، ومفاتيح الغيب للرازي ٤٩١/١٨.
(٥) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د/ محمد حسن جبل ١/ ٥٣٦(أ خ ذ).
(٦) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني صـ٦٧.

وفعل الأمر الإنجازي الصادر من الإخوة(مخاطِبون) ليوسف(مخاطَب) بقولهم:﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾ يحتمل أن يكون مجازًا؛ لأنهم يعلمون أنه لا يَصِحُّ أَخْذُ حُرٍّ ليُسْتَرَق بَدَلَ من أَحْكَمَتِ السُّنَّةُ عندهم رِقَّهُ، وإنما هذا كما تقول لمن تَكْرَهُ فِعْلَهُ: اقْتُلْنِي ولا تفعل كذا وكذا، وأنت لا تريدُ أن يقتلَك، ولكنك تبالغ في استنزاله. ويحتمل أن يكون الأمر الإنجازي حقيقة، وبعيدٌ عليهم–وهم أنبياء– أن يروا استرقاقَ حُرٍّ، فلم يبق إلا أن يريدوا بذلك طريق الحمالة، أي الكفالة بالنفس، والمعنى: خذ أحدنا مكانَه حتى ينصرف إليك صاحبُك، ومقصدُهم بذلك أن يصلَ بنيامينُ إلى أبيه، ويعرف يعقوب جلية الأمرِ[(١)]. ثم عللوا رجاءهم وإجابة مطلوبهم إغراء ليوسف بتنفيذ مطلبهم الإنجازي بقولهم:﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ إلى الناس كافة، وإلينا خاصة، كما يدل عليه فعل الرؤيا، وقيل: من المحسنين إن فعلت، أو فيما كنت تفعله بنا من إكرامنا وتوفية كيلنا وبضاعتنا. ويحتمل: إنا نراك من العادلين؛ لأن العادل محسن[(٢)].

يتضح أن أبناء يعقوب بالغوا في استعطاف العزيز من أجل تحقيق غرضهم بإطلاق سراح أخيهم، وسلكوا إستراتيجية في خطابهم للعزيز تقتضي استرحامه، فوصفوا أباهم بالصفات الثلاث السابقة التي تقتضي الإشفاق عليه، ثم استعانوا بإستراتيجية أخرى خاصة بيوسف وهى تذكيره بعادته في الإحسان للحصول على المطلوب.

المشهد الخامس عشر: الحوار الحادّ بين الإخوة بعضهم بعضًا

١٥–قوله تعالى:﴿ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

المناسبة السياقية: بعد أن ذكر السياق القرآني حديث إخوة يوسف مع

(١) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ٣/ ٢٦٨.

(٢) ينظر: النكت والعيون للماوردي ٣/ ٦٦، وفتح القدير للشوكاني ٣/ ٥٤.

العزيز في شأن السرقة، محاولين استعطافه والمطالبة بالصفح عن أخيهم أو أخذ بديل له ورَفْض يوسف لهذا المقترح قائلًا:﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩﴾ انفردوا بأنفسهم للتشاور﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ﴾ والسين والتاء للمبالغة﴿خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ﴾ للتداول والتشاور فيما بينهم لا يختلط بهم غيره﴿قَالَ كَبِيرُهُمۡ﴾[1] مذكرًا لهم بالميثاق الذي أخذه أبوهم:﴿أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٠ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ﴾.

التحليل التداولي للإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية في الآية: قول الأخ لإخوته آمرًا لهم أن يقولوا لأبيهم ما يزيلون به التّهمة عن أنفسهم:﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ﴾ يعني دوني، وعن ابن إسحاق "فَإِنِّي مَاكِثٌ لَا أَرْجِعُ حَتَّى يَأْتِيَنِي أَمْرُهُ"[2]. والأمر بالرجوع هو من قول كبيرهم الذي تأخر بمصر، فهو من تتمة قوله كما يدل عليه السياق:﴿قَالَ كَبِيرُهُمۡ﴾. وقيل: هو من قول يوسف، وفيه بعد، والأول أظهر[3]. ويدل عليه أيضًا السياق القبلي وهو قوله تعالى:﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ﴾. فانفردوا دون يوسف باعتبارهم إخوة دونه فهم لم يعرفوا أنه أخوهم.

والفعل الإنجازي في قوله:﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ...﴾ على الأمر على ما هو في الظاهر، ويحتمل أنه ليس على الأمر، أي: لو رجعتم إليه فقولوا: يا أبانا إن ابنك سرق، يشبه أن يكون هذا منه تعريضًا في التخطئة على ما كان يؤثره على غيره من الأولاد، أي الذي كنت تؤثره علينا بالمحبة وميل القلب إليه قد سرق، ولذا وصفوه هنا بالبنوة لأبيه دون الأُخُوة لهم انسلالًا منه ومن السرقة،

(١) قيل: في السن، وقيل: في العقل والعلم، أو الرأي والتمييز. ينظر: النكت والعيون ٦٧/٣.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٧/ ٢١٨٢.
(٣) ينظر: روح المعاني للألوسي ٧/ ٣٦.

ويشبه أن يكون ليس على التعريض ولكن على الإخبار على ما ظهر عندهم من ظاهر الأمر. وكذلك يخرج قوله:﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ﴾ ليس على الأمر، ولكن لو سألت أهل القرية وأهل العير لأخبروك أنه كما قلنا(١).

ويبدو أن مقصد من أمر الإخوة(مخاطِب) بالفعل الإنجازي بالرجوع إلى أبيهم تكرار المقالة وإعادتها وترديدها على أبيهم تحسبًا لعدم تصديقهم؛ إذ المعنى المحوري لتركيب " الرَّاء وَالْجِيم وَالْعَيْن أَصْل كَبِير مُطَّرِد مُنْقَاس يَدُلّ عَلَى رَدٍّ وَتَكْرَارٍ. تَقُولُ: رَجَعَ يَرْجِعُ رُجُوعًا: إِذَا عَادَ... وَالتَّرْجِيعُ فِي الصَّوْتِ: تَرْدِيدُهُ"(٢). لا سيما والأمر الإنجازي بالرجوع فيه معنى العودة بخيبة الأمل؛ لأن " الرجوع: العود إلى ما كان منه البدء"(٣). وهو هنا يفيد معنى العودة إلى ما كانوا عليه من فقد أخ آخر لهم، وقد أخذ عليهم يعقوب الميثاق بالعودة به إلا أن يحاط بهم فيهلكوا.

فمعنى﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ﴾ أي عودوا إليه وحدّثوه بما وقع وبحقيقة ما جرى﴿فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ﴾ متلطفين له في القول﴿إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾ على تحقيق السرقة على بنيامين بحسب ظاهر الأمر، وفيه معنيان: أحدهما: أنه سرق عند الملك، وفي تقدير الملك وحاضريه، فأما في تقديرنا وما نعلمه من أمره فلا، ومثل هذا كثير كقوله:﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧﴾[هود] أي: عند نفسك فأما عندنا فلا، والثاني: أن ابنك فعل فعلًا يشبه السرق، فسُمي بما يشبه فعله على المجاز. والأول هو الأثبت؛ لموافقته مذاهب العرب، ومشاكلته ألفاظًا من القرآن، وأكثر المفسرين على أنهم ما عرفوا حقيقة الحال فنسبوا إليه السرق على ما رأوه من ظاهر الأمر، ولهذا قالوا:﴿وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا﴾ وقرأ علي وأبو حَيْوَة

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي ٦/ ٢٧٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٤٩٠ (ر ج ع) .

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني صـ ٣٤٢.

(سُرِّق)[١] بضمّ السين وكسر الراء وتشديده على وجه ما لم يسمّ فاعله، يعني أنّه نسب إلى السرقة، وكأن هذه القراءة فيها لهم تحرٍ، ولم يقطعوا عليه بسرقة، وإنما أرادوا جُعِل سارقًا بما ظهر من الحال[٢].

وقوله:﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ من تتمة مقول القول لفعل الأمر الإنجازي، وفيه وجهان: أحدهما: وما شهدنا عليه بالسرقة إلا بظاهر علمنا من وجود السرقة في رحله، قاله ابن عباس وابن إسحاق. الثاني: وما شهدنا عند العزيز بأن السارقَ يُسْتَرَقُّ إلا بما علمنا من شريعتك، قاله ابن زيد[٣].

وقوله:﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ "احتراسٌ من تحققِ كونهِ سَرَقَ، وهو إما لقصد التلطف مع أبيهم في نسبة ابنهِ إلى السرقة، وإما لأنهم علموا من أمانة أخيهم ما خالجهم به الشك في وقوع السرقةِ منه، والغيبُ: الأحوال الغائبة عن المرء، والحفظُ: بمعنى العِلم"[٤].

ثم أشار أخوهم عليهم بما قد يحمل أباهم على تصديقهم إنْ شك فيهم أو كَذَّبهم لما لهم من سابقة يوسف فقال:﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا﴾ أي: أنك يا أبانا إنْ كنتَ تشك في أقوالنا يمكنك أن تطلب أدلة أخرى من المكان الذي كنا فيه؛ لأن هذا الموضوع قد أحدث ضجَّة وحدث أمام جمع كبير من الناس، والقوافل التي كانت معنا شهدتْ الواقعة؛ فقد أذَّن مُؤذِّن بالحادث، وتَمَّ تفتيش العِير علنًا[٥]. وفي المراد بفعل الأمر الإنجازي الصادر من الإخوة وهو: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا﴾ أقوال، الأول: أي واسأل أَهْلَ الْقَرْيَةِ، قال ابن عباس: يريد أهل مصر، وهذا قول عامة المفسرين وأهل التأويل،

(١) ينظر: الكامل في القراءات لأبي القاسم الهُذَلي صـ٥٧٧.
(٢) ينظر: التفسير البسيط للواحدي ١٢/ ٢٠٥، والمحرر الوجيز لابن عطية ٣/ ٢٧٠.
(٣) ينظر: النكت والعيون للماوردي ٣/ ٦٨.
(٤) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ١٣/ ٤٠.
(٥) ينظر: تفسير الشعراوي ١١/ ٧٠٤١ .

فحُذِفَ المضافُ؛ للإيجاز والاختصارِ، وهذا النوعُ من المجاز مشهورٌ في لغة العرب. وحكى عن بعض المتكلمين أنه قال: هذا من الحذف وليس من المجاز؛ لأن المجاز لفظة تستعار لغير ما هي له(١). والثاني: قال ابن الأنباري: المعنى: اسأل القرية والعير والجدارَ والحيطانَ فإنها تُجيبُك وتذكرُ لك صحة ما ذكرناه؛ لأنك من أكابر أنبياءِ الله فلا يَبْعُدُ أن يُنْطِقَ الله هذه الجمادات معجزة لك حتى تخبر بصحة ما ذكرناه. وعلى هذا الآية سليمة من الإضمار والمجاز. وفيه وجهٌ ثالثٌ: وهو أن الشيء إذا ظهر ظهورًا تامًّا كاملًا فقد يقال فيه: سلِ السماءَ والأرضَ وجميعَ الأشياءِ عنه، والمرادُ أنه بلغ في الظهور إلى الغاية التي ما بقي للشك فيه مجالٌ. أما قولُه:﴿وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ﴾ فقال المفسرون: كان قد صحبَهم قومٌ من الكنعانيين فقالوا: سَلْهُم عن هذه الواقعة. ثم إنهم لما بالغوا في التأكيد والتقرير قالوا:﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ يعني سواءٌ نسبتنا إلى التهمة أو لم تَنسِبْنا إليها فنحن صادقون، وَلَيْسَ غَرَضُهُمْ أَنْ يُثْبِتُوا صِدقَ أنفسِهم بأنفسِهم؛ لأن هذا يجري مجرى إثبات الشيء بنفسه، بل الإنسانُ إذا قَدَّمَ ذِكْرَ الدليلِ القاطع على صحة الشيءِ فقد يقولُ بعده وأنا صادقٌ في ذلك، يعني فتأمل فيما ذكرتُه من الدلائل والبينات لتزول عنك الشبهة(٢).

(١) عقب ابن القيم وقال: إنما يضمر المضاف حيث يتعين ولا يصح الكلام إلا بتقديره للضرورة كما إذا قيل: أكلت الشاة، فإن المفهوم من ذلك أكلت لحمها، فحذف المضاف لا يلبس، ونظائره كثيرة، وليس منه:﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ وإن كان أكثر الأصوليين يمثلون به، فإن القرية اسم للسكان في مسكن مجتمع، فإنما تطلق القرية باعتبار الأمرين، كالكأس لما فيه الشراب، والدنوب للدلو الملآن ماء، ونظائره.ثم إنه لكثرة استعمالهم لهذه اللفظة أطلقوها على السكان تارة وعلى المسكن تارة بحسب سياق الكلام وسباقه، وإنما يفعلون هذا حيث لا لبس، فلا إضمار في ذلك ولا حذف، فتأمل هذا الموضع الذي خفي على القوم مع وضوحه. بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية ٥٣٥/٣.

(٢)ينظر:التفسير البسيط ٢٠٩,٢٠٨/١٢، والمحرر الوجيز٢٧١/٣،ومفاتيح الغيب ٤٩٥/١٨.

وهنا نجد الأخ (المخاطِب) قد سلك إستراتيجية تلطفية علمية واقعية لتوجيه إخوته لإقناع أبيهم بحادثة السرقة وصدق مقالتهم، فألِحوا عليه وكرروا له المقالة إن كذبكم، وقدِّموا له البراهين الدالة على صدقكم، وإن أحب أن يستجلب أدلة من واقع الزمان والمكان فليفعل، بل وساعدوه في ذلك إن أراد.

المشهد السادس عشر: استعطاف الأب لأبنائه

١٦- قوله تعالى:﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾.

المناسبة السياقية: ينتقل بنا السياق القرآني نقلة نوعية متجاوزًا بها حدود الزمان والمكان وطواهما لنجد الإخوة- الذين كانوا في مصر يتحاورون فيما بينهم- مع أبيهم في فلسطين وإذا به يخاطبهم قائلًا لهم:﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾.

التحليل التداولي للإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية في الآية: لم ينقطع أمل يعقوب في الله وطمع في رد يوسف كما يفهم من رده على الذين لاموه على تذكر يوسف فقال لهم:﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أعلمُ من رحمته أنه يأتيني بالفرج، وهو إشارة إلى أنه كان يتوقع رجوع يوسف إليه(١)، فعندئذ أمرهم بالفعل الإنجازي فقال:﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ...﴾ ناداهم-على سبيل اللطف- بنداء البنوة الكريمة العاطفة المتضمنة للقرب، ودرءًا وتحسبًا لمزيد من الأذى لأخويهما، طالبًا منهم أن يذهبوا في الأرض متعرفين أخبار أخويهما

(١) ينظر: معالم التنزيل للبغوي ٢/ ٥١٠، ومفاتيح الغيب للرازي ١٨/ ٥٠٠.

يوسف وأخيه، والذهاب إما في بقاع الأرض باحثين، أي: إلى أي مكان يتوقع فيه وجود يوسف وأخيه، وإما إلى الموضع الذي جئتم منه وخلفتم أخويكم به، وهو أرض مصر، والظاهر الثاني؛ لأن شقيق يوسف كان في مصر بلا نزاع، فالمعنى اذهبوا إلى أرض مصر[١].

والأمر الإنجازي الثاني:﴿فَتَحَسَّسُواْ﴾ أي بمجرد الوصول كما تفيده الفاء دلالة على السرعة، أي استقصوا ونقروا، والتحسس: طلب الشيء بالحواس من البصر والسمع والتعرُّفُ عليه مع الاستقصاء الدقيق فَهُوَ تَفَعُّلٌ من الحِس،" ولابد فيه من ملحظ استعمال ما يتاح من الحواس المناسبة"[٢]. يقال: أمر بطلب يوسف بجميع حواسّهم بالبصر لعلهم تقع عليه أعينهم، وبالسمع لعلهم يسمعون ذكره، وبالشمّ لعلهم يجدون ريحه[٣]. كما يكون بالسؤال عنهما، قال السُّدِّيُّ: يعني تبحثوا عن خبرهما، قال ابن عباس: التمسوا[٤]. فالتحسس يكون بالحواس الظاهرة والباطنة، ففي الأمر ﴿فَتَحَسَّسُواْ﴾ إشارة إلى البحث المعتمد على التحسس بالمشاعر والحدس لا على النظر الماديّ فقط إذ كان الأمر خفيًّا لا يرى الرائي منه شيئًا، إنه في البحث عنه أشبه بمن يتحسس طريقه في الظلام الدامس، حيث يبطل عمل العينين، ويكون الاعتماد على الحدس والتظنّي[٥]. فالأمر الإنجازي﴿فَتَحَسَّسُواْ﴾ إشارة إلى استعمال أقصى درجات العلم وتقصي الحقائق وتحريها وبدون ملل أو كلل كما يفيده المعنى المحوري لتركيب(ح س) فـ" الْحَاءُ وَالسِّينُ أَصْلَانِ: فَالْأَوَّلُ غَلَبَةُ الشَّيْءِ بِقَتْلٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَالثَّانِي حِكَايَةُ صَوْتٍ... فَالْأَوَّلُ الْحَسُّ: الْقَتْلُ... ومِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُمْ: أَحْسَسْتُ أَيْ عَلِمْتُ

(١) ينظر: زهرة التفاسير، للشيخ/ أبي زهرة ٣٨٥٣/٧.

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن، د/ محمد حسن جبل ١/ ٤٢٥(ح س س).

(٣)ينظر: لطائف الإشارات للقشيري ٢٠١/٢، وصفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني ٥٦/٢.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زَمَنين ٢/ ٣٣٨، والكشف والبيان للثعلبي ٥/ ٢٥٠.

(٥) ينظر: التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ٧/ ٣٧.

بِالشَّـيْءِ...وَهَذَا مَحْمُـولٌ عَلَـى قَـوْلِهِمْ قَتَلْـتُ الشَّـيْءَ عِلْمًـا"[١]. ومما يؤكد معنى التقصي الشامل العدول في﴿فَتَحَسَّسُواْ مِن﴾ حيث عدى" بحرف الجر من، وهو فعل متعدّ بنفسه؛ إشارة إلى أنهم يتبعون آثار يوسف وأخيه أثرًا أثرًا، ويتحسسونها خطوة خطوة، فحرف الجر(من) دال على التبعيض في هذا التركيب"[٢]. فكأنه يأمرهم أن يتحسسوا ولو طرف خيط أو خَبَرًا واحدًا من أخبار يوسف وأخيه.

وهكذا كشف السياق عن الحالة النفسية التي انتابت الأب(المخاطِب) وشدة تعلقه بابنيه الغائبين؛ حيث طمع يعقوب في الاهتداء والوصول إلى يوسف(المفقود) وأخيه (المحجوز) فسلك إستراتيجية خطابية تحقق مقصوده، فطلب من أبنائه(مخاطَبون) أمرًا إنجازيًا متضمنًا تلطفًا في الخطاب معهم، وهو البحث الدقيق عن يوسف وأخيه، ثم تأتي القرائن السياقية من خلال النهي ليتعانق مع الأمر الإنجازي في مواصلة البحث دومًا وفي كل مكان يتوقع وجود الأخوين فيه، فقال:﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِـن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ﴾ فلا يصيبكم الجذع والخمول والتكاسل في حالة كثرة التحسس وطول فترته، فرحمة الله واسعة وفرجه شامل كما يفيده تركيب:" الرَّاء وَالْوَاو وَالْحَاء أَصْل كَبِير مُطَّرِد يَدُلّ عَلَى سَعَةٍ وَفُسْحَةٍ وَاطِّرَادٍ"[٣]. "مع شمول ولطفٍ"[٤]. فجملة النهي واقعة موقع التعليل؛ لتحقق في الإخوة أثرًا نفسيًا يرتبط بإنجاز الأمر المراد، لا سيما بعد أن أتى بالعلة التي تحقق الأثر الحجاجي المتعلق بالعقيدة – خاصة وهم أولاد أنبياء– لتحقيق مقصوده فقال:﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

المشهد السابع عشر: جمع الشمل على المودة والعفو

١٧– قوله تعالى:﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٩ (ح س).

(٢) التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ٧/ ٣٧.

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٤٥٤ (ر و ح).

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن، د/ محمد حسن جبل ٢/ ٧٧٢(ر و ح).

بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾... ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

التحليل التداولي للإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية في الآية: يبدو أن إستراتيجية الخطاب السابقة من يعقوب لأبنائه قد أثرت فيهم، فلانت قلوبهم واهتزت مشاعرهم، ونفذ إلى أعماقهم خطاب أبيهم وأمره إياهم بالتحسس عن الأخوين الغائبين وعدم اليأس من روح الله، لنجد السياق القرآني ينقلنا– كعادته في السورة– نقلة نوعية معجزة – متجاوزًا وطاويًا حدود الزمان والمكان، فإذا بالإخوة– استجابة سريعة لفعل الأمر الإنجازي الذي أصدره أبوهم لهم– بين يدى العزيز (يوسف) كما تفيده الفاء﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ﴾ بمجرد الوصول كما يدل عليه الجار والمجرور (عليه) الذي يعطي معنى الاقتحام؛ إذ المعنى المحوري لتركيب(د خ ل) يفيد معنى" وُلوج الشيء أو تغلغله في أثناء شيء"[(١)]. ولذا اتفق المفسرون على أن هاهنا محذوفًا؛ ولدلالة المقام طوى ذلك إيجازًا، وإيذانا بمسارعتهم إلى ما أمروا به، وإشعارًا بأن ذلك أمر محقق لا يفتقر إلى الذكر، وَالتقديرُ: أن يعقوبَ لما قال لبنيه:﴿ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ قَبِلُوا من أبيهم هذه الوصية فعادُوا إلى مصرَ ودخلوا على يوسفَ فقالوا له:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ﴾[(٢)] ونادوه بأداة البعد بما يليق بمكانته التي صار بها عزيز مصر، متلطفين بذلك طالبين عطفه ورفده، وقالوا:﴿مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ أي: الشدة والجوع من الجدب والقحط، وعن قتادة: أي الضر في المعيشة[(٣)]. ويحتمل أن يكون مس الضر بذهاب بصر أبيهم[(٤)].

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د: محمد حسن جبل ٦٣٧/٢ (د خ ل).
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي ٥٠٢/١٨، وروح المعاني ٤٤/٧، ومحاسن التأويل ٢١٢/٦.
(٣) ينظر: جامع البيان للطبري ١٦/ ٢٣٤، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٧/ ٢١٩٠.
(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي ٦/ ٢٨٢.

ويبدو أن الضر الذي مسهم قوي اختلط بهم بحيث يشمل المجاعة التي أصابتهم، والهم الذي نزل بهم؛ إذ" المسّ يقال في كلّ ما ينال الإنسان من أذى"(١). والمعنى المحوري لتركيب(م س) يدل على " سَرَيان في أثناء أو مخالطة دقيقة ذات أثَر كهذا الكلأ الناجع في الراعية، وكما يخالط الماءُ الغُلّةَ والترياقُ الداءَ فيُشْفَيان... والتعبُ يخالط البَدن ويَسْري فيه وهو ذو أثَرٍ قوي"(٢).

كشف لنا السياق بأدواته ووظيفته اللغوية عن الإستراتيجية التي سلكها إخوة يوسف(مخاطِبون) لإقناع يوسف(مخاطَب) بتنفيذ أمر أبيهم، فبدأوا بندائه ووصفه بالعزيز، ثم عدلوا عن تلبية الأمر الإنجازي لأبيهم بتحسس يوسف وأخيه إلى مخاطبة العزيز بألطف رفق وأبلغ استعطاف؛ للفت نظره إلى الحالة المزرية التي صاروا إليها بذكر الضّرّ ومقاساة الجوع والفقر، وغير ذلك مما يرقق القلب؛ وبما يوحيه ذلك من معاني الضعف والانكسار التي آلوا إليها؛ ليكون ذلك مؤثرًا عاطفيّا ونفسيّا يسهم في تنفيذ مطلبهم، وليروا تأثير الشكوى في العزيز اختبارًا لحاله، فإن رقّ قلبه لهم ذكروا ما يريدون وإلا سكتوا، فمقصودهم بذلك شيئان: أحدهما: أن يرد أخاهم عليهم. والثاني: توفية كيلهم والمحاباة لهم(٣). فخطاب التلطف في قوله:﴿قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ﴾ المراد به– كما قال الرازي– يأيها الملك القادر المنيع(٤)، والإزجاء في اللغة: الدفع قليلًا قليلًا، وصفوا تلك البضاعةَ بأنها مزجاةٌ؛ إما لِنُقصانها، قال ثعلب: البضاعة المُزجاة الناقصة غير التامة؛ وإما لرداءتِها؛ أو لهما جميعًا(٥).

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني صـ ٧٦٧.

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن، د: محمد حسن جبل ٤/ ٢٠٧٠ وما بعدها.

(٣) ينظر: النكت والعيون للماوردي ٣/ ٧٢، وتفسير المراغي ١٣/ ٣١ وما بعدها.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي ١٨/ ٥٠٣.

(٥) والمفسرون ذكروا كل هذه الأقسام، قال الحسن: البضاعة المزجاة القليلة، وقال آخرون إنها كانت رديئة، واختلفوا في تلك الرداءة، فقال ابن عباسٍ :كانت دراهم رديئة زيوفًا =

وخطاب التلطف السابق ظنوا أنه قد يسهم في عملية الاستجابة لطلبهم تمهيدًا لفعل الأمر على سبيل الرجاء فقالوا:﴿فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ﴾ الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها، وإيفاء الكيل ليس مترتبًا على كون البضاعة مزجاة فقط، وإنما أيضًا مترتب على إصابتهم الضر، والكيل هنا فيه قولان: أحدهما: الكيل الذي كان قد كاله لأخيهم. الثاني: مثل كيلهم الأول؛ لأن بضاعتهم الثانية أقل(١).

والمراد من الأمر(التوفية) أي: أعط لنا الكيل تامًّا كما كنت تعطينا قبل بالثمن الجيد الوافي، فبعنا كما تبيع بالدراهم الجياد ولا تنقصنا لرداءة بضاعتنا(٢)؛ لأن الإيفاء هو التسليم على التمام كما يدل عليه تركيب" الْوَاو وَالْفَاء وَالْحَرْف الْمُعْتَلّ كَلِمَة تَدُلّ عَلَى إكْمَالٍ وَإِتْمَامٍ. مِنْهُ الْوَفَاءُ: إتْمَامُ الْعَهْدِ وَإِكْمَالُ الشَّرْطِ...تَوَفَّيْتُ الشَّيْءَ وَاسْتَوْفَيْتُهُ؛ إذَا أَخَذْتَهُ كُلَّهُ حَتَّى لَمْ تَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا"(٣). والوفاء يكون بالفعل دون القول(٤).

ثم نزلوا أوضع منزل بطلبهم لفعل الأمر الإنجازي بقولهم:﴿وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ﴾ يا لها من لحظة انكسار وضعف لم تعهد من قبل في أحاديثهم، وفي معنى

=

لا تقبل في ثمن الطعام، وقال عكرمة: دراهم فُسُول، وعن الضحاك: كاسدة لا تنفق، وعن مجاهد: الدراهم الرُّذَال التي لا تجوز إلا بنقصان. وقيل: الْأَقِطُ، والحبل وأمتعةٌ رَثَّة، وقيل: متاع الأعراب الصوف والسَّمن. وقيل: الحبة الخضراء، وقيل: النِّعَال والأُدْمُ، وقيل: صوف المعزِ، وقيل: إن دراهم مصر كانت تُنْقَشُ فيها صورة يوسف والدراهمُ التي جاءوا بها ما كان فيها صورة يوسف فما كانت مقبولةً عند الناسِ. ينظر: جامع البيان للطبري ١٦/ ٢٣٤ وما بعدها، ومفاتيح الغيب للرازي ١٨/ ٥٠٣.

(١) ينظر: النكت والعيون للماوردي ٣/ ٧٣، زهرة التفاسير لأبي زهرة ٧/ ٣٨٥٥.

(٢) ينظر: معالم التنزيل للبغوي ٢/ ٥١١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/ ٢٥٤.

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٦/ ١٢٩.

(٤) ينظر: معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري صـ ٥٧٥.

التصدق هنا ثلاثة أقوال، الأول: المسامحة بما بين الثمنين، وأن يسعر لهم بالرديء كما يسعر بالجيد، وهو ما عليه أكثر المفسرين، وفي اللسان" قيل: معنى تصدق هاهنا تفضَّل بما بين الجيد والرديء كأنهم يقولون: اسمح لنا قبول هذه البضاعة على رداءتِها أو قلَّتها؛ لأَن ثعلب فسر قوله تعالى:﴿وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ﴾، فقال: مُزْجاةٍ: فيها إِغْمَاضٌ وَلَمْ يَتِمَّ صلاحُها﴿وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ﴾ قال: فَصِّل مَا بَيْنَ الْجَيِّدِ وَالرَّدِيءِ"[(١)]. وعلى هذا سمي ذلك تصدقًا؛ لأن الذي سألوه كان مُشْبهًا للتصدق، وليس هو تصدقًا على ما يسبق إليه الظن، قاله سعيد بن جبير والسدي والحسن؛ وذلك لأن الصدقة تحرم على جميع الأنبياء. والثاني: تصدق بردّ أخينا، قاله ابن جُريج والضحاك؛ وذلك لأنهم كانوا أنبياء، والصدقةُ لا تحل للأنبياء. قيل: وهو الأنسب بحالهم بالنسبة إلى أمر أبيهم، وكأنهم أرادوا تفضل علينا بذلك؛ لأن رد الأخ ليس بصدقة حقيقة. والثالث: وتصدق علينا بالزيادة على حقِّنا، قاله سفيان بن عيينة، وذهب إلى أن الصدقة قد كانت تحل للأنبياء قبل نبينا(ﷺ)[(٢)].

وقوله:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ علة فعل الأمر بالتصدق، أي بما صنعوا بالثواب في الآخرة، وفي العدول عن إجزاء الله له إلي جميع المتصدقين؛ " كأنهم ظنوا أنه ليس على دين الإسلام، ولو أنهم ظنوا أنه مسلم لقالوا: إن الله يجزيك بالصدقة "[(٣)].

والسياق القرآني مستمر في الحديث مع يوسف وإخوته، ملمحًا بأن يوسف قد تأثر بما مسهم من ضر، تأثرًا جعله يرق قلبه لهم فلم يستطع أن يخفى حقيقته عنهم أكثر من ذلك، فبادرهم مذكرًا لهم ما فعلوه به من أذى فـ﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩﴾ لسوء العاقبة حينئذ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ

(١) لسان العرب ١٠/ ١٩٦(ص د ق).

(٢) ينظر: النكت والعيون للماوردي ٣/ ٧٣، والتفسير البسيط للواحدي ١٢/ ٢٣٠.

(٣) تأويلات أهل السنة للماتريدي ٦/ ٢٨٢.

يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ حينئذ اعترفوا بذنبهم فـ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ فعفا عنهم و﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾. ثم اتجه يوسف بعد ذلك إلى الحديث عن أبيه الذي عرف منهم أن عيناه ابيضّت من الحزن عليه فأمرهم بقوله:﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا ...﴾ وهذا الأمر الإنجازي جاء فجأة- بعد الفراغ عن مصير الإخوة- وبدون أدوات ربط دلالة على سرعة الإنجاز الذي لا يحتمل التأخير ولو للحظات، ونلمح أيضًا في التعبير بالفعل(ذهب) الذي لا يدل- فيما يبدو- على مجرد المضي فقط بل يدل تركيبه على" انتقال الشيء أو خلو حيزه منه إلى حيز آخر "[(١)]. فكأنه ينبغي عليهم ألا يشغلوا أنفسهم بشيء سوي الذهاب إلى أبيهم الذي يهيئون له الجو النفسي لاستقبال الحدث.

والباء في﴿بِقَمِيصِى﴾ الظاهر أنها للحال فتتعلق بمحذوف، أي: اذهبوا معكم قميصي، أو اذهبوا مَصْحُوبِينَ أو مُلْتَبِسِينَ به. وقيل: للتعدية أي: احمِلوا قميصي[(٢)]. واسم الإشارة (النعت) في قوله: ﴿بِقَمِيصِى هَٰذَا﴾ جعلهم يختلفون في القميص الذي يذهبون به، فقد يكون مرادًا به قميصًا مخصوصًا كما ذهب إليه البعض، أو إشارة إلى قميص كان بيده من سائر ما يلبسه[(٣)].

والتعبير بفاء التعقيب في﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى﴾ يفيد سرعة التنفيذ، كما أن

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د/ محمد حسن جبل ٧٢٩/٢(ذ هـ ب).

(٢) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٦/ ٣٢٢.

(٣) روي أن هذا القميص كان لإبراهيم كساه الله إياه حين خرج من النار وكان من ثياب الجنة. وكان بعد لإسحاق ثم ليعقوب ثم ليوسف، وهو لَا يَقَع على مُبْتَلًى إِلَّا عُوفِيَ، وهو قول عامة المفسرين، وهذا يحتاج إلى سند يوثق به، والظاهر أنه قميص يوسف الذي هو بمنزلة قميص كل أحد، وهكذا تبين الغرابة في أن وجد ريحه من بعد، ولو كان من قمص الجنة لما كان في ذلك غرابة. ينظر: المحرر الوجيز ٢٧٨/٣، والبحر المحيط ٣٢٢/٦.

التعبير بالأمر الإنجازي(الإلقاء) يدل على معنى الطرح بقوة على جهة المقابلة؛ إذ المعنى المحوري لـ(ل ق ى) يدل على" تحصيل بالمقابلة مواجهةً أو تماسًّا أي بقوة... وكل تَلْقية فهي بمعنى إيصال الشيء بقوة إلى من يستقبله أي يلقاه ويجده"(١). كما أن دلالة الأمر (فَأَلْقُوهُ) فلِقَصْد الْمُفَاجَأَة بِالْبُشْرَى؛ إذ "اللِّقَاء: مقابلة الشيء ومصادفته معًا... قال:﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾"(٢). وتخصيص فعل الأمر بالإلقاء على الوجه مبالغة في تقريبه منه؛ لأنه كان لا يبصر من بعيد فلا يتبينُ رفعة القميص إلا من قُرْبٍ، فتتراجع إليه قوة بصره بانتعاش قلبه، بشمّه واطمئنانه على سلامته، وللمفرحات تأثير عظيم في صحة الجسم وتقوية الأعضاء(٣).

وفي إضافة الضمير إلى الأب في قوله:﴿عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى﴾ دون أَبيكم لطيفة يوسفية لا تخفى على ذي فطنة إنها تشير إلى أن الحنان الأَبوي الذي فقدوه في غيبة يوسف سيعود إليهم جميعًا بسبب لَمِّ الشمل واكتمال الأهل(٤). وجواب الأمر الإنجازي وهو﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾ يشير إلى أن يوسف قطع القول بأن أباه يصير بصيرًا، وهذا يدل على أنه كان عن وحي لا عن رأي منه واجتهاد، ومعناه كما قال ابن عباس: يرتد بصيرًا ويذهب البياض الذي على عينيه، قال الفراء: يرجع بصيرًا (٥).

والمراد بالأمر الإنجازي في قوله:﴿وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي جميع من شَمَلَه لفظ الأهل من النساء والذَّراريِّ(٦). وكان قد أراد أن يكرمهم ويبرهم،

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن، د/ محمد حسن جبل ٤/ ١٩٩٠(ل ق ى).
(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى صـ ٧٤٥.
(٣) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي ٢١٦/٦، والتحرير والتنوير ٥١/١٣.
(٤) ينظر: التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء ٥/ ٣٧٨.
(٥) ينظر: التفسير البسيط للواحدي ١٢/ ٢٤١.
(٦) ينظر: فتح القدير للشوكاني ٣/ ٦٣.

وأن يشترك في الفرح جميع من أصابهم الحزن عليه[١]. ولفظ(أتى) فيه معنى الحضور بتهيئة أو قوة تزيل ما يعوق، ولذا لم يذكر يوسف الإتيان بأبيه لا لكونه داخلًا في الأهل، فإنه يجل عن التبعية؛ بل ليتفادى أمر الإخوة أن يأتوا بأبيهم؛ لأن فيه نوع إجبار على من يؤتى به، فهو-عليه السلام- موكول إلى اختياره ومحبته وشوقه، خاصة وأن المعنى المحوري لتركيب(أ ت ى) يدل على" وصول- أو تقدم وحضور- إلى مكان- أو شيء- بتهيئة أو قوة تزيل ما يعوق... كل ذلك وصول شيء ذي بال قليلًا قليلًا بتهيُّؤ حتى... كأنه دُفع حتى وصل، وذلك بين التهيئة والقوّة "[٢].

المشهد الختامي: جمع الشمل

١٨-﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾... فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾.

المناسبة السياقية: بعد أن تأثر يوسف بما مس إخوته ووالده من ضر ورق لحالهم وأمر إخوته بالذهاب بقميصه وإلقاءه على وجه أبيه ليصير بصيرًا وأن يأتوا بكل الأهل، استجاب الإخوة ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ﴾ بأمر الله، عندئذ﴿قَالَ﴾ يعقوب﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ حينها ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾.

التحليل التداولي للإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية في الآية:﴿قَالُواْ﴾ أي الإخوة اعترافًا بخطئهم﴿يَـٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ اعترف الإخوة بالذنب، وهذا أول طريق التوبة، وندموا - كذلك- على

(١) ينظر: لطائف الإشارات للقشيري ٢/ ٢٠٥.

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د/ محمد حسن جبل ١/ ١٩٢(أ ت ى).

ما فعلوا، وبذلك توافرت عناصر التوبة، فطلبوا بعد ذلك من أبيهم المغفرة من الله، وقد روي أن سبب هذا الأمر الإنجازي- وهو طلب المغفرة - أن يوسف لما غفر لإخوته، وتحققوا أيضًا أن أباهم يغفر لهم، قال بعضهم لبعض: ما يغني عنا هذا إن لم يغفر الله لنا! فطلبوا- حينئذ- من أبيهم أن يطلب لهم المغفرة من الله تعالى، وسألوه ذلك لأمرين: أحدهما: أنهم أدخلوا عليه من آلام الحزن ما لا يسقط المأثم عنه إلا بإجلاله. الثاني: أنه نبيّ تجاب دعوته ويعطى مسألته[١]. ونادوه بعنوان الأبوة ﴿يَٰٓأَبَانَا﴾ على سبيل التضرع والتحنن تحريكًا للشفقة ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾ قال مقاتل: " في أمر يوسف"[٢]. أي: يا أبانا اسأل الله أن يعف عنَّا ويغفر لنا ويستر علينا ذنوبنا التي اجترحناها من عقوقك وإيذاء أخوينا، فلا يعاقبنا بها في القيامة [٣].

وفعل الأمر الإنجازي بطلب المغفرة يفيد ستر ذنوبهم وعدم معاقبتهم عليها؛ إذ المعنى المحوري لتركيب(غ ف ر) "عُظْمُ بَابِهِ السَّتْرُ، ثُمَّ يَشِذُّ عَنْهُ مَا يُذْكَرُ. فَالْغَفْرُ: السَّتْرُ. وَالْغُفْرَانُ وَالْغَفْرُ بِمَعْنًى. يُقَالُ: غَفَرَ اللهُ ذَنْبَهُ غَفْرًا وَمَغْفِرَةً وَغُفْرَانًا"[٤]. وزاد أستاذنا الدكتور جبل أن المعنى المحوري لـ(غ ف ر) يدل على" تغطية أو سَتْر يقصد به الحماية وما إليها...﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ [القصص:١٦]. وقد ذكرتُ أن السَتْر هنا للحماية"[٥]. وقد سبق بذلك الراغب فقال:" الغَفْر: إلباس الشيء ما يصونه عن الدنَس... والغُفْرَانُ والْمَغْفِرَةُ من الله هو أن يصون العبد من أن يمسّه العذاب ...

(١) ينظر: النكت والعيون للماوردي ٣/ ٧٩، والمحرر الوجيز لابن عطية ٣/ ٢٨٠.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٢/ ٣٥٠.
(٣) ينظر: جامع البيان للطبري ١٦/ ٢٦١، وتفسير المراغي ١٣/ ٤٠.
(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤/ ٣٨٥ (غ ف ر).
(٥) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن، د/ محمد حسن جبل ٣/ ١٥٩٤(غ ف ر).

والاسْتِغْفَارُ: طلب ذلك بالمقال والفعال"[١]. ونص أبو هلال على أن طلب المغفرة يقتضي إيجاب الثواب، فالستر:" سترك الشيء بستر، ثم استعمل في الاضراب عن ذكر الشيء، فيقال: ستر فلان على فلان إذا لم يذكر ما اطلع عليه من عثراته، وستر الله عليه: خلاف فضحه، ولا يقال لمن يستر عليه في الدنيا إنه غفر له؛ لأن الغفران ينبئ عن إستحقاق الثواب على ما ذكرنا، ويجوز أن يستر في الدنيا على الكافر والفاسق "[٢]. والغفران "يقتضي إسقاط العقاب، وإسقاط العقاب هو إيجاب الثواب فلا يستحق الغفران إلا المؤمن المستحق للثواب، وهذا لا يستعمل إلا في الله، فيقال: غفر الله لك، ولا يقال غفر زيد لك إلا شاذًا قليلًا"[٣]. ويبدو أن قول أبي هلال إن المغفرة تستوجب الثواب " لا حجة له إلا أن المغفرة تُسقِط ما يحول دون الثواب. فتكون عبارته غير محررة "[٤].

وقد قيل أن السبب في تصريحهم بالذنوب دون الله﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾؛ لمزيد اهتمامهم بها، وكأنهم غلب عليهم النظر إلى قهره[٥].

وقوله:﴿إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ علة فعل الأمر، أي: آثمين جاهلين سوء العاقبة وما تؤول إليه، يقال:" أَخطَأَ إذا لم يصب الصواب"[٦]. ويقال" لمن أراد شيئًا ففعل غَيْرَهُ أو فعل غَيْرَ الصوابِ: أخطأ... والخاطِئُ: من تعمَّد لما لا ينبغي... ويقال: قد خَطِئْتُ إذا أَثِمْتَ... وقال تعالى:﴿إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ أي آثمين"[٧]. وقد أجابهم أبوهم لطلبهم و﴿قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٩٨﴾.

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني صـ ٦٠٩.
(٢) معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري صـ٢٣٦.
(٣) السابق صـ٢٣٥.
(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن، د/ محمد حسن جبل ٣/ ١٥٩٥(غ ف ر).
(٥) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي ٦/ ٢١٩.
(٦) كتاب العين للخليل ٤/ ٢٩٢ (خ ط أ).
(٧) لسان العرب لابن منظور ١/ ٦٦ (خ ط أ).

ثم يمضي السياق ليطوي الزمان والمكان لنجد يعقوب وأولاده والأهل بسرعة عند يوسف﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ وهنا محذوفات يدل عليها السياق، وهي:" فرحل يعقوب بأهله أجمعين وساروا حتى بلغوا يوسف، فلما دخلوا عليه"(١).

وقد رُوي في هذا الدخول أن يوسفَ وجَّه إلى أبيه وأهله جهازًا ومائتي راحلةٍ، وخرج يوسفُ والملكُ في أربعة آلاف من الجند والوجهاء وأهل مصر ليتلقَّوا يعقوبَ وأهله في موضع خارج عن البلد(مصر) ويستقبلوهم استقبال العظماء، كأنه حين استقبلهم نزل بهم في بيتٍ هناك أو خيمة فدخلوا عليه، وهذا هو الدخول الأول الذي﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾(٢) أي: ضَمَّهُمَا إليه واعتنقهما وأظهر الحماية بهما(٣). والمعنى المحوري لـ(أ و ى) يدل على" ضَمّ مع ضعف ما، كما في الإيواء للنصرة والحياطة... وكالحاجة إلى الراحة أو إحساس الآوى بحاجة المأويّ إلى العطف ونحوه، وقولهم: أَوَى له: رَقَّ ورَثَى له أشفق عليه هو مما برز فيه الضعف أكثر، ويتمثل الضم في التألم له والرثاء والإشفاق، فكل ذلك مشاركة في الألم وانضمام إلى من يعاني منه فيه"(٤).

عجبًا لهذا المشهد الختامي المثير الذي يدل على حرارة اللقاء والمليء بالخفقات والانفعالات النفسية وبالدموع المشوبة بالفرح بعد كل هذه الأعوام من الفرقة والابتلاءات والألم والشوق المضني للحنين، ليدخل يوسف بهم الدخول الثاني إلى مصر، بدليل قوله: ﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ﴾ يحتمل أن يريد مجرد الدخول فقط، أو الدخول والسكنى والإقامة، فمعنى ادخُلوا مصر أي: تمكَّنوا منها واستقرُّوا فيها، وعن ابن عباسٍ: أي أقيموا بها آمنين. سَمَّى الإقامةَ دخولًا لاقتران أحدهما

(١) المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ٣/ ٢٨١.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي ١٨/ ٥٠٩ وما بعدها.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٣/ ٢٨١، ومفاتيح الغيب للرازي ١٨/ ٥٠٩.

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن، د/ محمد حسن جبل ٤/ ٢٣٢٩(أ و ى).

بالآخر[١].

وصيغة فعل الأمر الإنجازي﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ﴾ جملة دِعائِيَّةٌ للإكرام بقرينة قوله: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لكونهم قد دخلوا مصر حينئذ، والمقصود تقييد الدخول بـ﴿ءَامِنِينَ﴾ وهو مناط الدُّعَاءِ[٢]. وآمِنِين أي من الجوع والقحط والشِّدّة والفاقة. ويقال: الأمن عام شامل على أنفسكم ومواشيكم من الخوف وسائر المكاره؛ لأنها أرض الجبابرة. وقيل: آمِنِينَ من أن يَضُرَّهُم يوسفُ بالجُرم السالف، والأمن: حالةُ اطمئنان النفس وراحة البال وانتفاء الخوف من كل ما يُخافُ منه، وهو يجمعُ جميع الأحوال الصالحة للإنسان من الصحة والرِّزق ونحو ذلك[٣].

مشهد إسدال الستار: تحقق الرؤيا وتمني الموت

١٩-قوله تعالى:﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾.

التحليل التداولي للإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر وأثرها في القوة الإنجازية في الآية: وأخيرًا يأتي مشهد النهاية بين يوسف وأبويه وإخوته ليتحقق مشهد رؤيا يوسف في أول القصة﴿إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا...﴾ ليتحقق الترابط في القصة حيث قال تعالي هنا:﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ...﴾. وقبل أن يسدل الستار على هذه القصة المثيرة نجد يوسف- بعد أتم الله عليه نعمه، ونجاه من تآمر إخوته وكيد امرأة العزيز والنسوة وأخرجه من السجن، ثم آتاه من ملكه العظيم ولمّ شمله بأبويه وأهله- تتوق نفسه إلى الخير الأخروي الدائم لينزعها من بهجة العناق والجاه إلى

(١) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي ١٨/ ٥١٠، وتفسير ابن عرفة ٢/ ٤٠٧.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ١٣/ ٥٥.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي ١٨/ ٥١٠، والتحرير والتنوير ١٣/ ٥٥.

لقاء ربه فقال:﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ...﴾ وتصدر الآية بالربوبية يتناسب مع عظيم قدرة الله ونعمه على يوسف، وفي حذف أداة النداء(أي: يا رب) لشعور يوسف وإحساسه بالقرب من خالقه وولي نعمته وأنه مستأنس بذلك، ومن" للتبعيض، أي: بعض الملك، لأنه لم يؤت كل الملك، إنما أُوتي مُلْكًا خاصًا، وهو ملك مصر في زمن خاص،﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ﴾ أي بعضها؛ لأنه لم يؤت جميع علمِ التأويل سواءٌ أريد به مطلقُ العلم والفهمِ، أو مجرد تأويل الرؤيا، وقيل: من للجنس... وقيل: زائدة"[١]. و﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ "خالقها وبارئها"[٢]،﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ﴾ أي" نَاصِرِي وَمُتَوَلِّي أموري"[٣]. ثم يأتي الطلب الدعائي على سبيل الرجاء والالتماس ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ أي:" اقبضني إليك مسلمًا"[٤]. وفيه وجهان: أحدهما: يعني مخلصًا للطاعة، قاله الضحاك. الثاني: على ملة الإسلام[٥]. وقوله:﴿وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: بدرجاتهم، ويحتمل سؤاله أن يلحقه بكل صالح على العموم. ويحتمل: أنه سأله أن يلحقه بالصالحين من آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، قاله الضحاك. ويحتمل: أنه سأله أن يلحقه بأهل الجنة، قاله عكرمة[٦].

وفعل طلب الدعاء بالوفاة هنا فيه احتمالان، الأول: أن يوسفَ قاله عند احتضاره، وأنه سأل الوفاة مُنْجَزًا في الحال، وكان ذلك سائغًا في ملتهم، كما قال قتادة، وكان ابن عباسٍ يقول: ما تمنَّى نبيٌّ قَطُّ الموت قبل يوسف. وأصحاب هذا القول يقولون إنه لم يأت عليه أسبوع حتى توفي. والثاني: أن يوسف سأل الوفاة

(١) فتح القدير للشوكاني ٣/ ٦٨، وينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ١٢٩.
(٢) جامع البيان للطبري ١٦/ ٢٧٨.
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/ ٢٧٠.
(٤) جامع البيان للطبري ١٦/ ٢٧٨.
(٥) ينظر: النكت والعيون للماوردي ٣/ ٨٥.
(٦) السابق نفسه.

على الإسلام واللَّحاق بالصالحين إذا حان أجلُه، وانقضى عمره؛ لا أنه سأل ذلك مُنْجَزًا، كما يقول الداعي لغيره: أماتك اللهُ على الإسلام[١]. فعلى هذا القول يكون معنى الآية توفني إذا توفيتني على الإسلام، كما قال يعقوب لولده:﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴿١٣٢﴾﴾، فهو طلب لأن يجعل الله وفاته على الإسلام، وليس في اللفظ ما يدل على أنه طلب الوفاة في الحال[٢]. وهذا القول رأي الجمهور، وذهب الكثير إلى أنه الصحيح[٣]. والدليل على أنه لم يكن متمنيًا للموت أن هذا الكلام متصل بقوله:﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ وكان ذلك عند اجتماعه بيعقوب وعاش بعد قوله:﴿تَوَفَّنِي﴾ نيفًا وثلاثين سنة؛ لأنه مات بعد أبيه يعقوب بخمسين سنة، ويعقوب عاش بمصر نيفًا وعشرين سنة، فلا يجوز أن يتمنى الموت في ذلك الوقت لوجهين: أحدهما: أن دعاءه يكون حينئذ غير مستجاب إلى ثلاثين سنة، وذلك لا يلائم أدعية الأنبياء. الثاني: أن يوسف ويعقوب كان كل واحد منهما يَحِنُّ إلى صاحبه أربعين سنة في أشد حزن وأصعبه، فلما اجتمعا يتمنى الموت، ويتمنى أن يعود حزن يعقوب أشد مما كان! هذا بعيد[٤].

يتضح أن يوسف تضرع إلى ربه بفعلي الطلب(توفني، وألحقني) فكما أتم عليه نعم الدنيا من النبوة والملك وغيرهما، يتم عليه نعم الآخرة، فيختم له بخاتمة الإسلام، وسلك في كل ذلك إستراتيجية الدعاء والتضرع من ربه للوصول لغايته.

وهكذا يسدل السياق القرآني الستار على قصة نبي يوسف بكل أحداثها المؤثرة مع أبويه وإخوته وغيرهم ممن التقى بهم بهذا الدعاء الشامل الذي تضرع فيه يوسف إلى ربه بأن يتوفاه مسلمًا شوقًا إليه، وهو يدل على أن يوسف ارتبط دومًا بربه، ولم تشغله الدنيا بما فيها من محن مر بها أو حتى منح الجاه والسلطان.

(١) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي ١٨/ ٥١٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٤١٤.
(٢) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٣/ ٢٨٣، ولباب التأويل للخازن ٢/ ٥٥٨.
(٣) ينظر: زاد المسير ٢/ ٤٧٥، والجامع لأحكام القرآن ٩/ ٢٦٩، وفتح القدير ٣/ ٦٨.
(٤) ينظر: مباحث التفسير لابن المظفَّر صـ ١٨٤ وما بعدها.

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، وأرسل رسوله محمدًا(ﷺ) خاتمًا للنبيين والرسالات، فاللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد،

فقد انتهيت– بفضل الله وتوفيقه– من إخراج هذا البحث على الصورة السالفة، وكان من أهم النتائج التي أثمرت عنها الدراسة ما يلي–

١– معرفة اللغويون العرب– من النحاة واللغويين والبلاغيين– قديمًا لفكرة التداولية– وإن لم يؤصلوا لمصطلحها– وما تهتم به من مظاهر لغوية انبثقت من سياقات الاستعمال اللغوي الدائرة في مستوى التخاطب الفعلي جعلتهم على قدم المساواة مع الدّراسات اللّغوية الحديثة في كثير ممّا توصلوا إليه من نظريات ونتائج.

٢– لا شك أن فهم مقصود المخاطِب(الآمر) وعدم إلباسه على المخاطَب (المأمور) من أهم مبادئ التداولية، وقد تمثل ذلك هنا في القصة حتى في الجزء المحذوف من الجملة، وكيفية إدراك المخاطَب له بناء على كفاءته والخلفية الاجتماعية والثقافية المشتركة بينه وبين المتكلم التي تساعد على إبراز هذا المقصود، وأثر السياق في ذلك، وتأثير كل ذلك على تركيب الجملة، على أن أسلوب الحذف هنا جاء مراعاة مقتضى الحال وإبراز جوهر الأحداث؛ حتى يبعث على التأمل لمعرفة الأحداث ليسمح للقارئ بتنشيط عقله وفتح آفاق من الاعتبار والاتعاظ.

٣– اللغة تعد الوعاء المادي لآراء المخاطِب(الآمر) وفكره؛ لما لها من بُعْد اجتماعي ونفسي وسلطة تنفيذية قادرة على التّأثير في المخاطَب، وقد استخدم الآمر في التخاطب هنا– في سورة يوسف– إستراتيجية بغرض التأثير في المخاطَب(المأمور) واستدراجه وإقناعه بالدّعوى المعبّر عنها في العملية التواصلية، وجعله أسرع استجابة، مع تكاتف كافة الأساليب بما فيها من علة لهذا الأمر وما تتميز به من أبعاد لسانية وفكرية تعد وسيلة منطقية لغوية.

٤- الإستراتيجية الخطابية لفعل الأمر في سورة يوسف استُخدم فيها- كثيرًا- أسلوب المجادلات والمحاورات، وهذا قد أكسبها هذا لونًا من التشويق والإثارة لمعرفة بقية الأحداث وما انتهت إليه لا سيما مع تحقق الوحدة الموضوع للسورة، على أن الحالة الاجتماعية والنفسية كان لها دورًا مؤثرًا في مصدر الخطاب(الأمر)، ففي المبحث الأول الذي حكى ما مر فيه يوسف بشتى أنواع المحن والابتلاءات نجد أن الطرف الآخر- كثيرًا ما يكون- هو مصدر الخطاب(الأمر) وأنه واقع عليه، نحو:﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ...﴾ ونحو:﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ ونحو:﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا﴾، وهكذا. أما في المبحث الثاني الذي حكى تمكين الله ليوسف في الأرض وصار عزيز مصر نجد يوسف- كثيرًا ما يكون- هو مصدر الخطاب(الأمر)، نحو:﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ ونحو:﴿قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ... وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ﴾ وهكذا.

٥- اتضح من خلال الدراسة مدى اعتبار الألفاظ وقوتها في التعبير والحاجة الماسة إليها في العلوم، فساقي الملك عندما طلب من يوسف تأويل رؤيا الملك أعاد نقل ألفاظ الملك كما هي كاملة بدون تعديل؛ لأن تعبير الرُّؤى قد يتوقف على الألفاظ، فتختلف الرُّؤى بسبب اختلاف اللفظ.

وأخيرًا: أوصي بدراسة النصوص الشرعية- من الكتاب والسنة- في ضوء النظرية التداولية؛ فهى تُعنى بدراسة مقصود مراد المتكلم، ولا شك أن هذا له دور في فهم مراد الشارع، وما سيترتب على ذلك من أحكام شرعية.

المصادر

- الأبعاد التداولية عند ابن حزم الأندلسي لماجد بن حمد العلوي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز القومي للبحوث- غزة، مجلد: ٢، عدد:٦، ٢٠١٨م.
- الإبهاج في شرح المنهاج لعلي بن عبد الكافي السبكي- دار الكتب العلمية- بيروت- ط١- ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبو السعود العمادي- دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- أساس البلاغة جار الله الزمخشري- حققه: محمد باسل عيون السود- دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان- ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
- أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، حققه: كمال بسيوني زغلول- دار الكتب العلمية- بيروت- ط١-١٤١١هـ.
- الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، إدريس مقبول، مجلة كلية العلوم الانسانية، العدد: ١٥، ٢٠١٤م.
- الإستراتيجيات التداولية في تحليل الخطاب السياسي للقنوات التلفزيونية الفضائية المعادية، د: ايهاب حمدي جمعة، مجلة البحوث والدراسات الإعلامية،المؤتمر العلمي الرابع للمعهد الدولي العالي للإعلام بالشروق- عدد ٨-٢٠١٩م.
- إستراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي، دليلة قسمية، جامعة الحاج لخضر- الجزائر- ٢٠١١م.
- إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية لعبدالهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد- ط١- بيروت- لبنان- ٢٠٠٤م.
- إعراب القرآن أبو جعفر النَّحَّاس-علق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم- منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-ط١- ١٤٢١هـ.
- إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش- دار الإرشاد للشئون الجامعية- حمص، سوريا(دار اليمامة ودار ابن كثير- دمشق- بيروت)-ط٤-

١٤١٥هـ.
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د/ محمود أحمد نحلة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١-٢٠١١م.
- آليات بناء الإستراتيجية الخطابية من منظور تداولي، د: جودي حمدي منصور، جامعة محمد خيضر- بسكرة، الجزائر- العدد السادس، ٢٠١٦م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي- حققه: محمد عبد الرحمن المرعشلي- دار إحياء التراث العربي- بيروت-ط١-١٤١٨هـ.
- الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين عبد الرحمن المعروف بالقزويني- مطبعة السنة المحمدية، القاهرة (د- ت).
- بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي- حققه: د/محمود مطرجي- دار الفكر- بيروت.
- البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي- حققه: صدقي محمد جميل- دار الفكر- بيروت- ١٤٢٠هـ.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن عجيبة-حققه:أحمد عبد الله رسلان-الناشر: د: حسن عباس زكي- القاهرة-١٤١٩هـ.
- بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية- حققه: هشام عبد العزيز عطا، وعادل عبد الحميد العدوي- مكتبة نزار مصطفى الباز- مكة المكرمة- ط١- ١٩٩٦م.
- البراغماتية(القولفعلية) في تحليل أفعال الخطاب السياسي، د/ سامي كليب- دار الفارابي، لبنان، ط١- ٢٠١٧م.
- البعد التداولي عند الأصوليين(ابن قيم الجوزية في كتابه بدائع الفوائد أنموذجًا) يوسف سليمان عليان، مجلة جامعة أم القرى، عدد: ٥٣، جزء:٢، ٢٠١١م.
- البُعد التداولي عند سيبويه لمقبول إدريس، بحث منشور بمجلة عالم الفكر، العدد: ١، المجلد: ٣٣- ٢٠٠٤م.

– تاج اللغة وصحاح العربية لأبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري حققه: أحمد عبد الغفور عطار– دار العلم للملايين – بيروت–ط٤–١٤٠٧هـ–١٩٨٧م.
– تأويلات أهل السنة لأبو منصور الماتريدي– حققه: د/ مجدي باسلوم– دار الكتب العلمية– بيروت، لبنان– ط١–١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.
– تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد لمحمد الطاهر بن عاشور– الدار التونسية للنشر – تونس– ١٩٨٤هـ.
– تحولات الطلب ومحددات الدلالة، مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف، حسام أحمد قاسم– دار الآفاق العربية– القاهرة– ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م.
– تداولية الخطاب الشعري ديوان الإمام الشافعي أنموذجا، ريمة لعبادلية، كلية الآداب واللغات– جامعة ٨ مايو– الجزائر– ٢٠١٥م.
– التداولية عند ابن جني دراسة تطبيقية في كتابه الخصائص، صبحي إبراهيم الفقي، مجلة الدراسات الشرقية، جمعية خريجي أقسام اللغات الشرقية بالجامعات المصرية–مصر– عدد:٣٩– ٢٠٠٧م.
– التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، د/ مسعود صحراوي– دار الطليعة– بيروت–ط١–٢٠٠٥م.
– التداولية لجورج بول، ترجمة: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون– لبنان–٢٠١٠م.
– التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار–ط١– سوريا– ٢٠٠٧م.
– تفسير ابن عرفة لأبي عبد الله محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي– حققه: جلال الأسيوطي– دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان–ط١ – ٢٠٠٨م.
– التَّفْسِيرُ البَسِيْط لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي– حققه: أصل تحقيقه في(١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه –عمادة البحث العلمي– ط١–١٤٣٠هـ.

- تفسير الشعراوي، للشيخ: محمد متولي الشعراوي- مطابع أخبار اليوم- ١٩٩٧م.
- تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني- حققه: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم- دار الوطن، الرياض- السعودية- ط١- ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- تفسير القرآن الحكيم لمحمد رشيد رضا-الهيئة المصرية العامة للكتاب- ١٩٩٠م.
- تفسير القرآن العزيز لابن أبي زَمَنِين- حققه: أبو عبد الله حسين عكاشة- محمد بن مصطفى الكنز- الفاروق الحديثة- القاهرة- ط١- ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
-تفسير القرآن العظيم لأبي محمد عبد الرحمن بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم- حققه: أسعد محمد الطيب- مكتبة نزار مصطفى الباز- السعودية- ط٣- ١٤١٩هـ.
- تفسير القرآن العظيم لأبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير- حققه: سامي بن محمد سلامة- دار طيبة للنشر والتوزيع- ط٢-١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب- دار الفكر العربي- القاهرة.
- تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي- شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر-ط١- ١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م.
- التفسير الوسيط للزحيلي، د: وهبة بن مصطفى الزحيلي- دار الفكر- دمشق- ط١- ١٤٢٢هـ.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر-الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية-ط١-١٩٧٣: ١٩٩٣م.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د/ محمد سيد طنطاوي- دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة- القاهرة- ط١-١٩٩٧، ١٩٩٨م.
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ: محمد الأمين

بن عبد الله الهرري– إشراف ومراجعة: د/ هاشم محمد علي بن حسين مهدي– دار طوق النجاة، بيروت– لبنان– ط١–١٤٢١هـ–٢٠٠١م.
– تفسير مقاتل بن سليمان لأبي الحسن مقاتل بن سليمان البلخى– حققه:عبد الله محمود شحاته– دار إحياء التراث – بيروت–ط١– ١٤٢٣هـ.
– تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري– حققه: محمد عوض مرعب– دار إحياء التراث العربي – بيروت– ط١–٢٠٠١م.
– جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري– حققه: أحمد محمد شاكر– مؤسسة الرسالة– ط١–١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م.
– الجامع لأحكام القرآن لشمس الدين القرطبي– حققه: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش– دار الكتب المصرية– القاهرة– ط٢– ١٣٨٤هـ– ١٩٦٤م.
– جمهرة اللغة لأبي بكر بن دريد– حققه: رمزي منير بعلبكي– دار العلم للملايين– بيروت–ط١– ١٩٨٧م.
– الجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي– حققه: الشيخ: محمد علي معوض، والشيخ: عادل أحمد عبد الموجود– دار إحياء التراث العربي– بيروت– ط١– ١٤١٨هـ.
– الحجاج والاستدلال الحجاجي، حبيب أعراب– عالم الفكر، الكويت، ٢٠٠١م.
– الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسيّ– حققه: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق– دار المأمون للتراث – دمشق، بيروت– ط٢– ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م.
– الخصائص أبي الفتح عثمان بن جني– حققه: محمد علي النجار– عالم الكتب– بيروت.
–الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، د/ مؤيد آل صوينت، مكتبة الحضارات– ط١–١٤٣١هـ– ٢٠١٠م.
– الدر المنثور لجلال الدين السيوطي– الناشر: دار الفكر– بيروت.
– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي– حققه: علي عبد الباري عطية– دار الكتب العلمية–

بيروت–ط١– ١٤١٥هـ.
– زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي– حققه: عبد الرزاق المهدي– دار الكتاب العربي – بيروت– ط١– ١٤٢٢هـ.
– زهرة التفاسير للشيخ: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة– دار النشر: دار الفكر العربي.
– شرح المفصل لابن يعيش، قدم له: د/ إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان– ط١– ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م.
– شرح جمل الزجاجي، للإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف الأنصاري– حققه: د/ علي محسن عيسى– منشورات عالم الكتب– ١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م.
– صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني– دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة–ط١– ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م.
– علم البيان دراسة تحليلية لمسائل علم البيان، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار– القاهرة– ط٢– ١٤١٨هـ– ١٩٩٣م.
– غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري– حققه: الشيخ زكريا عميرات– دار الكتب العلمية– بيروت– ط١– ١٤١٦هـ.
– فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني– دار ابن كثير، دار الكلم الطيب– دمشق، بيروت–ط١– ١٤١٤هـ.
– في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء– بيروت– ط٢–٢٠٠٠م.
– في بلاغة الخطاب القرآني، محمد العمري– دار الثقافة– الدار البيضاء– ١٩٨٦م، ١٤٠٦هـ.
– في اللسانيات التداولية، د: خليفة بوجادي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع بالجزائر–ط١–٢٠٠٩م.
–الكافي في البلاغة لعبدالغني أيمن أمين، دار التوثيقية– القاهرة– ط٢– ٢٠١١م.
– الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها لأبو القاسم يوسف بن علي

بن جبارة بن محمد الهُذَلي– حققه: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب– مؤسسة سما للتوزيع والنشر– ط١– ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م.
– كتاب السبعة في القراءات أبو بكر بن مجاهد– حققه: شوقي ضيف– دار المعارف– مصر–ط٢– ١٤٠٠هـ.
– كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي–حققه: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي–الناشر: دار ومكتبة الهلال.
– الكتاب لأبى بشر عمرو بن عثمان سيبويه– حققه: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض–ط٢– ١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م.
– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لجار الله الزمخشري–دار الكتاب العربي– بيروت–ط٣– ١٤٠٧هـ.
– الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي– حققه: الإمام أبي محمد بن عاشور، راجعة: الأستاذ/ نظير الساعدي– دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان– ط١– ١٤٢٢هـ– ٢٠٠٢م.
– لباب التأويل في معاني التنزيل أبو الحسن علي بن محمد الخازن– صححه: محمد علي شاهين– دار الكتب العلمية – بيروت– ط١– ١٤١٥هـ.
– اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي– حققه: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض– دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان– ط١–١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.
– لسان العرب أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور– دار صادر– بيروت– ط٣–١٤١٤هـ.
– لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري– حققه: إبراهيم البسيوني– الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر–ط٣.
– اللغة ودلالاتها تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، د/ محمد سويرتي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد: ٢٨، العدد: ٣– ٢٠٠٠م.

- مباحث التفسير لبدر الدين أحمد بن محمد بن أحمد المظفر الرازيّ- حققه: حاتم بن عابد بن عبد الله القرشي- كنوز إشبيليا - السعودية- ط١- ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
- محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي- حققه: محمد باسل عيون السود- دار الكتب العلميه- بيروت-ط١- ١٤١٨هـ.
- محاضرات في اللسانيات التطبيقية، لطفي بوقربة، معهد الأدب واللغة، جامعة بشار الجزائر، ٢٠٠٣م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي- حققه: عبد السلام عبد الشافي محمد- دار الكتب العلمية - بيروت- ط١- ١٤٢٢هـ.
- المخاطب والمعطيات السياقية في كتاب سيبويه، خالد عبد الكريم بسندي، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مجلد: ٨، عدد: ٢- ٢٠١٢م.
- المصطلح الاعلامي العربي دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، بوكلخة صورية، ماجستير جامعة وهران الجزائر- ٢٠٠٧م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي- حققه: عبد الرزاق المهدي- دار إحياء التراث العربي -بيروت-ط١- ١٤٢٠هـ.
- معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج- حققه: عبد الجليل عبده شلبي- عالم الكتب- بيروت-ط١-١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨م.
- معاني النحو، د/ فاضل صالح السامرائي- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- الأردن-ط١-١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د/ محمد حسن جبل- مكتبة الآداب- القاهرة- ط١-٢٠١٠م.
- معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري- حققه: الشيخ بيت الله بيات- مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ(قم)-ط١- ١٤١٢هـ.
- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس- حققه: عبد السلام محمد هارون- دار الفكر-١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- مفاتيح الغيب(التفسير الكبير) لفخر الدين الرازي- دار إحياء التراث العربي-

بيروت– ط٣– ١٤٢٠هـ.
– المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى– حققه: صفوان عدنان الداودي–دار القلم، الدار الشامية– دمشق– بيروت– ط١– ١٤١٢هـ.
– المقاربة التداولية لفرانسواز أرمينكو، ترجمة: سعيد علوش– المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع– الدار البيضاء– المغرب– ط١– ١٩٨٧م.
– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن علي بن أبي بكر البقاعي– دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
– النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي– حققه: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم– دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان.
– الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي– حققه: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي– جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي– الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة– كلية الشريعة والدراسات الإسلامية– جامعة الشارقة–ط١– ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م.
– همع الهوامع في شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي–حققه: عبد الحميد هنداوي–المكتبة التوفيقية– مصر.
– الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي– حققه: الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، قدمه له: د/ عبد الحي الفرماوي– دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان– ط١– ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م.